بسم الله الرحمن الرحيم
جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وادي النيل
كلية الدراسات العليا

المبرد وجهوده البلاغية من خلال كتابه الكامل في اللغة والأدب

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب : مدثر محمد سيد أحمد
إشراف الدكتورة : زينب علي حجازي

مارس ٢٠١٠م
ربيع الأول ١٤٣٢هـ

الاستهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ صدق الله العظيم

سورة الرحمن الآيات (١ ـ ٤)

الإهـــــداء

إلى من أمرني ربي أن أخفض لهما جناح الذل من الرحمة . وهما اللذان تولياني بالرعاية والعناية صغيرا ، وغرسا في نفسي حب العلم والآخرين.. والدي

إلى روح شقيقي خالد ، له الرحمة والمغفرة...

إلى كل حادب على العلم...

الشكـر والتقديــر

الشكر أولاً وأخيراً لله العظيم بلا غاية ، والباقي بلا نهايـة ، وصـلاته وسـلامه على رسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين..
ثم أخص بالشكر الجزيل الأستاذة الجليلة الدكتورة زينـب علـي حجـازي التـي كانت لنصـائحها وتوجيهاتها فضل السبق في إنجاز هذا البحث.
والشكر أيضاً موصول لأسرة مكتبة كلية التربية جامعة وادي النيل
والشكر موصول إلى كل من أعانني وأسهم في إخراج هذا البحث من قريب وبعيد....

مستخلص البحث باللغة العربية

يدور موضوع البحث حول الجهود البلاغية للمبرد من خلال كتابه الكامل في اللغة والأدب ، وقد جاء البحث في ثلاثة فصول يحتوي كل فصل منها على ثلاثة مباحث .

يتلخص الفصل الأول في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر المبرد كمبحث أول ، والمبحث الثاني حياة المبرد (مولده ونشأته) والمبحث الثالث ثقافة المبرد وآثاره .

أما الفصل الثاني فتناول مادة ومنهج كتاب الكامل ، والبلاغة ما قبل المبرد ، ففي المبحث الأول منهج الكتاب ومادته ، والمبحث الثاني أثر كتاب في المتأخرين ، والمبحث الثالث البلاغة ما قبل المبرد .

أما الفصل الثالث فهو عن جهود المبرد البلاغية ، حيث تناول المبحث الأول علم البيان والبديع والمعاني عند المبرد ، والمبحث الثاني أبرز أقسام التشبيه عند المبرد ، والمبحث الثالث تناول أقسام أخرى للتشبيه عند المبرد .

أما الخاتمة فتضمنت نتائج البحث وتوصياته .

the subject matter of the research is based on ELmubarid eloquence efforts through his book " ELkamil". The research comes in three chapter each one consists of three sections.
The first chapter deals with the cultural , social and political life during ELmubarid era as a first section . Where as the section handles his birth and genesis and the third section traces his culture and obvious remarks.
The second chapter handles ELmubarids book " ELkamil" explaining its method , contents and eloquence before him . The second section deals with effect of his book on the latest scholars .
The third section handles eloquence before ELmubarid.
The third chapter deals with ELmubarids rhetorical efforts handling semantic , rhetoric and EL Badi science it also handles the prominent sections of analogy as stated by ELmubarid .
The conclusion contains the results and the recommendation .

فهرست الموضوعات

م	الموضوعات	صفحة
١	الإستهلال	أ
٢	الإهـــداء	ب
٣	الشكر والتقدير	ج
٤	ملخص البحث باللغة العربية	د
٥	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	هـ
٦	فهرست الموضوعات	و
٧	المقدمـــــة	ز
٨	**الفصل الأول : عصر المبرد وحياته**	١ــ ٢٤
٩	المبحث الأول: عصر المبرد	١ـ ٧
١٠	المبحث الثاني: حياة المبرد	٨ـ ١٣
١١	المبحث الثالث: ثقافة المبرد وآثاره	١٤ـ ٢٤
١٢	**الفصل الثاني :كتاب الكامل... والبلاغة ما قبل المبرد**	٢٥ـ ٤٦
١٣	المبحث الأول: البلاغة ما قبل المبرد	٢٥ـ ٣٢
١٤	المبحث الثاني: منهج ومادة الكامل	٣٣ـ ٣٩
١٥	المبحث الثالث: أثر كتاب الكامل في المتأخرين	٤٠ـ ٤٦
١٦	**الفصل الثالث :جهود المبرد البلاغية**	٤٧ـ ٧٢
١٧	المبحث الأول : جهود المبرد في علم البيان والبديع والمعاني	٤٧ـ ٥٥
١٨	المبحث الثاني : أبرز أقسام التشبيه عند المبرد " المصيب ـ المفرط المتجاوز ـ المتقارب ـ البعيد "	٥٦ـ٦٣
١٩	المبحث الثالث : أقسام أخرى للتشبيه عند المبرد	٦٤ـ ٧٣
٢٠	خاتمة البحث ونتائجه	٧٤
٢١	المصادر والمراجع	٧٧

المقدمة :

بدأت البلاغة العربية في شكل إشارات صغيرة في العصر الجاهلي وازدهرت حتى صارت علماً له قواعده وأحكامه وقوانينه..فقد بدأت في شكل ملاحظات بسيطة كان ينثرها العرب في الجاهلية. وأخذت هذه الملاحظات تكثر مع رقي الحياة العقلية العربية بعد الإسلام. ومما لا شك فيه أن القرآن قد أثر تأثيراً بالغاً في نشأة البلاغة ، فقد عكف العلماء على دراسته والبحث في سر إعجازه. ولمستها في العصر العباسي عصا الحضارة السحرية ، فإذا هي تَعْمُقُ ،نشطت بيئات مختلفة في تنمية مباحثها منها المحافظ المسرف في محافظته ، ومنها المجدد المسرف في تجديده حتى ليحاول أن يخضعها لمقاييس البلاغة اليونانية. وقد أسهمت مجموعات متعددة في صنع تاريخ البلاغة فكان لكل مجموعة اتجاهها المعين ولكنها في النهاية تصب في مجرى واحد ،هو محاولة وضع القواعد البلاغية على أسس واضحة نهتدي بها في الحكم على النص الأدبي ومن هذه المجموعات المتعددة مجموعة النحاة التي تلعب دوراً هاماً في تطوير الدرس البلاغي ومن هؤلاء النحاة محمد بن يزيد النحوي المعروف بالمبرد(ت٢٨٥هـ).

كان المبرد من أبرز أئمة البصرة فهو يمتلك مكانة عظيمة في نفوس معاصريه حيث تأثر بكتاب سيبويه ، ورغم اهتمامه بالنحو إلا إنه أفاد البلاغة العربية والبيان العربي بالخصوص عندما درس في كتابه الكامل في اللغة والأدب ـ الذي ظهر موضوعه من عنوانه فهو يبحث في علوم اللغة وآدابها ـ فن التشبيه .

ويعتبر هذا الكتاب هو أحد أصول علم الأدب وأركانه ، وهو بمثابة ديوان تخير فيه مصنفه نصوصاً من أقوال العرب القدامى شعراً ونثراً . وشرح هذه النصوص واستخرج ما فيها من فوائد ونكت تخص اللغة والأدب العربي .

قدم المبرد مجهوداً جباراً أفاد به البلاغيين بعده، يتمثل في جمع النماذج الشعرية التي تحوي فنون البلاغة في الشعر الجاهلي ، الإسلامي ، والأموي ، وحتى العباسي ، كما تتبع شرحه لفنون البلاغة الموجودة في القرآن الكريم . وقد جعل الباحث هذه الدراسة بعنوان :(المبرد وجهوده البلاغية ، من خلال كتاب الكامل في اللغة والأدب) وقف من خلالها على أهم تلك الجهود التي قام بها المبرد في هذا المجال ، وقد جعل الباحث كتاب الكامل في اللغة والأدب مجالاً لتلك الدراسة .

دوافع اختيار البحث:

إن الرغبة الأكيدة في تسليط الضوء على جانب آخر من أبحاث هذا العالم اللغوي النحوي ، هي التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا البحث ، من أجل إبراز مجهوده البلاغي وإعطائه بعض حقه بقدر المستطاع .

بالإضافة إلى ندرة البحوث التي تناولت موضوع البحث بالدراسة .

أهميـــة البحـث :

لعل الكثير من القراء والباحثين في كتاب الكامل في اللغة والآداب اهتموا بالنحو والأدب وأهملوا ما فيه من مباحث بلاغية أو تغافلوا عنها ، وربما كان ذلك نتاجاً لطبيعة الكتاب ومؤلفه ، فالكتاب يتحدث في ظاهره عن اللغة والأدب ، كما عرف

المبرد في نفسه بميوله النحوية ، ومن ثم كان من الطبيعي أن ينصرف نظر القارئ إلى الجوانب النحوية والأدبية .

ومن هنا تكمن أهمية البحث في أنه محاولة لبيان الجوانب البلاغية في كتاب الكامل بالإضافة إلى بيان قيمة كتاب الكامل بوصفه مصدر أصيل من مصادر الدراسة البلاغية

أهدف البحـث :

يهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بالمبرد مولده ونشأته وعقليته وأثاره وجهوده ، كما يهدف الباحث إلى معرفة قيمة كتاب الكامل اللغوية والنحوية والبلاغية ، ومعرفة المنهج الذي سار عليه المبرد في كتابه الكامل ، فضلاً على ذلك يهدف الباحث إلى إلقاء الضوء على جهود المبرد البلاغية ، والمصادر التي اعتمد عليها ، واثر هذا الكتاب في الدرس البلاغي . .

منهـج البحـث :

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي وذلك لتناسبه مع طبيعة البحث ، كما سيستعين بالمنهج التاريخي وذلك عند تناوله لحياة المبرد .

هيـــــكل البحث :

جاء هذا البحث في ثلاثة فصول ، ويتكون كل فصل من ثلاثة مباحث على النحو التالي :

الفصل الأول : عصر المبرد وحياته

المبحث الأول : عصر المبرد "الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ".

المبحث الثاني : حياة المبرد .

المبحث الثالث : ثقافة المبرد وآثاره .

الفصل الثاني : البلاغة ما قبل المبرد وكتاب الكامل في اللغة والأدب،

المبحث الأول : البلاغة ما قبل المبرد .

المبحث الثاني : منهج ومادة كتاب الكامل

المبحث الثالث : أثر كتاب الكامل في المتأخرين.

الفصل الثالث : جهود المبرد البلاغية

المبحث الأول : علم البيان والمعاني والبديع .

المبحث الثاني :أبرز أقسام التشبيه " المصيب ،المفرط المتجاوز،المتقارب ،البعيد ".

المبحث الثالث : أقسام أخرى للتشبيه .

المبحـــث الأول:عصــــر المبـــــرد

الحيـــــــاة السياسية:

تنسب الخلافة العباسية إلى العباس عم البني (ص) فمؤسس دولة بني العباس هو عبد الله (السفاح) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. وقد استمرت الخلافة العباسية من سنة (١٣٢هـ) إلى سنة (٦٥٦هـ) حيث سقطت على يد التتار.[١]

قامت دولة بني العباس بقصد الإصلاح الاجتماعي الذي لم يوجد في الحكم الأموي؛ إذ كان بنو العباس يزعمون أن أحق الناس بالإمامة بعد النبي (ص) هو العباس لأنه وارثه وعاصبه . وقد بدأت هذه الدعوة سرية في أوائل القرن الثاني للهجرة من الحميمة التي اتخذها العباسيون مركزاً لنشر دعوتهم وذلك في عهد عمر ابن عبد العزيز ؛ وعليه يمكن تقسيم الدعوة العباسية إلى قسمين:-

الأول:ويبدأ في مستهل القرن الأول للهجرة وينتهي بانضمام أبي مسلم الخرساني، وكانت الدعوة في هذا الدور خالية من أساليب العنف والشدة.

ويبدأ الدور الثاني بانضمام أبو مسلم الخرساني إلى الدعوة العباسية، وهنا يدخل النزاع بين الأمويين والعباسيين في دور العمل، وهو دور الحروب التي انتهت بزوال الدولة الأموية.[٢]

وقد بسطت الدولة العباسية جناحيها على كثير من الأمم والشعوب في هذا العصر، فقد كان من أجزائها : المغرب ، ومصر، والشام ، وجزيرة العرب ، والعراق ، وفارس ، وما وراء النهر.[٣]

تأثر نظام الخلافة بانتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين فقد تطور نظام الخلافة بقيام الدولة العباسية ، لأن تلك الدولة قامت على أكتاف الفرس فأصبح نظام الخلافة مماثلاً لما كان عليه في بلاد الفرس أيام آل ساسان فاحتجب الخليفة عن رعيته واتخذ الوزير والسياف ، وظهرت الأزياء الفارسية وأحتفل بالأعياد الفارسية وقد ظل نظام الحكم في الدولة العباسية استبدادياً إلى عهد الرشيد.[٤]أما في الجزء الثاني من العصر العباسي يظهر مدى تغلغل نفوذ الأتراك في الدولة العباسية وأثرهم في تصريف شئونها فيما بعد.[٥]

تعرضت الدولة العباسية منذ نشأتها (١٣٢هـ) حتى زوالها(٦٥٦م) إلى ثورات متعددة كادت أن تعصف بها منذ قيامها ، وقد كان لهذه الثورات المتعددة تأثير كبير على الحياة الأدبية ، فمنها الحركات السياسية والدينية مثل حركة الشيعة الثورية والإسماعيلية والحركات التي ظهرت على أيدي الخوارج والزنج وكذلك حركات المعتزلة وشيوع مذهب السنة وتطور آراء المتصوفين.[٦]

ومن الثورات التي كان لها الأثر الظاهر في الدولة العباسية وأقلقت خلافتهم ثورة انت العلاقة بين العلويين والعباسيين تقوم على الود والصفاء إلى حين قيام الدولة العباسية ؛ ولم يكد العباسيون يستولون على مقاليد الخلافة حتى أخذ العلويون يشيعون في الناس أنهم اغتصبوها منهم ؛وأخذت الخصومة تشتد بين الفرعين الهاشميين في أيهما أقرب إلى

---

[١] / احمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ط ١١، دون تر ، ج٣،ص٢٠

[٢] / حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام الديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل ، لبنان ، ط٥ ، ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م ، ج٢ ،ص١٦-١٧

[٣] / احمد أمين ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب الحديث ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م ،ج١ ،ص١٥

[٤] / حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ،ج٢ ، ص٢٠٦- ٢٠٧

[٥] / شوقي ضيف ،تاريخ الدب- العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، دون تر ، ص ١٢

[٦] / حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص١٩٩ وما بعدها

الرسول (ص) وأيهما أحق بميراث ولايته على العهد وسرعان ما أخذ المنصور يرصد العلويين ويضيق الخناق عليهم.[١]

كان محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية أول المتطلعين إلى الخلافة من العلويين ؛ وكانت دعوته في بادئ الأمر سرية ولكنه فضل الظهور بدعوته وكان ذلك سنة(١٤٥هـ)[٢] . ثم قامت عدة ثورات من العلويين على العباسيين انتهت بمقتلهم ؛ كثورة الحسين بن علي بن الحسن وثورة يحيى وإدريس ابني عبد الله ، وثورة محمد بن جعفر- الديباج- وقد انتهت بمقتلهم جميعاً.[٣]

ظهرت كذلك حركات الموالي ومنها الروندية وكانوا قبل الفتح الإسلامي يقدسون ملوكهم فيجعلونهم في مصاف الآلهة ؛وقد حبس المنصور بعض من زعماء الروندية . فاجتمع أنصارهم وفتحوا السجون وأخرجوا الرؤساء؛ ثم قصدوا المنصور وحاربوه فعاملهم المنصور كما عامل أبا مسلم الخرساني وقتلهم شر قتلة.

ومن تلك الحركات أيضاً المقنعية على يد المقنع ؛والتي ظهرت في عهد الخليفة المهدي الذي استطاع أن يقضي عليها ولكن ظلت آثارها باقية ردحاً من الزمان.[٤]

ومن الثورات التي عاصرت العصرين الأموي والعباسي ثورة الخوارج:

نشط الخوارج في العصر العباسي الأول ففي عهد أبي جعفر المنصور كانت بلاد شمالي أفريقيا مسرحاً لحركات الخوارج ؛وكثرت معاركهم مع العباسيين واستطاعوا أن يستولوا على مدينة القيروان؛ وقد استطاع أبو جعفر المنصور القضاء عليهم[٥] . ولكن خطر الخوارج لم ينتهي بل استمرت ثوراتهم من حين إلى حين آخر؛ ففي سنة(٢٥٢هـ) خرج مسار بن عبد الحميد بن مسار الشاري على والي الموصل واستمر في حوادث مع العباسيين حتى مات سنة(٢٦٣هـ) ؛ واستمرت ثوراتهم على أن أمرهم أخذ في الضعف بسبب النزاع بينهم ، وبموت هارون بن عبد الله البجلي.[٦]

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك ثورات أخرى منها الخرمية والتي كانت كثيرة المعتقدات سواء أكان ذلك قبل الإسلام أو بعده. وهي تنسب إلى بابك الخرمي الذي انتهز المشكلات التي سبقت عهد المأمون وظهر سنة (٢١٠هـ)؛وقد ادعى الإلوهية... ومن مبادئ الخرمية تحويل الملك من العرب إلى الفرس المجوس، ومن مبادئهم رفض جميع الفروض الدينية ، ونادوا بإباحة المحرمات .[٧]

وأخيراً ثورة الزنج والتي شغلت الدولة العباسية أربع عشرة سنة ونحو أربعة أشهر لم

تضع فيها الحرب أوزارها منذ رمضان(٢٥٥هـ) حتى صفر (٢٧٠هـ)[١] . وقد قاد هؤلاء الزنوج رجل فارسي يسمى علي بن محمد من أهلي الطالقان؛ادعى أنه من ولد علي زين العابدين بن الحسين بن علي ، كما ادعى أن العناية الإلهية قد أرسلته لإنقاذهم مما كانوا يعانونه من بؤس ، كما ادعى أيضاً العلم بالغيب وانتحل النبوة وقد جهر بعقائد الخوارج .

---

[١] / شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٦-٢٧
[٢] / حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ، ج٢، ص١٠٤- ١١٤
[٣] / احمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٢٠٦-٢١٠
[٤] / حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام، ج٢، ص٨٨-٩٠
[٥] / احمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٢١٠-٢٣١
[٦] / حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢١٤-٢١٦
[٧] / احمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٢١٦-٢١٧
[١] / شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص١٦

سار صاحب الزنج في سنة (٢٤٩هـ) إلى البحرين ودعا إلى تحرير العبيد في البصرة وضواحيها فاستمال قلوبهم وعظم شأنه وقويت شوكته ، ثم سار إلى البصرة سنة (٢٥٤هـ) أخذ ينشر فيها آراءه الثورية ضد الدولة العباسية.[٢]

سرعان ما التف الزنج حول هذا الثائر والتف معهم كثير من عبيد الفرات بحيث غدت الثورة كأنها ثورة العبيد على السادة الجائرين؛ وثبت ذلك في نفوسهم أن صاحبهم كان يدعو إلى تحريرهم .غير أنه لم يمض فيها إلى النهاية إذ استباح في حروبه استرقاق الأحرار. مما يدل على أنه لم يكن محرراً للعبيد ولا كان علوياً لأنه كان ينادي في عسكره على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس بن عبد المطلب وغيرهم من ولد هاشم وقريش ومن سائر العرب ... وبعد معارك كثيرة بين الموفق وقواد الزنج تمت هزيمة الزنج وقتل صاحب الدعوة وقواده وبذلك انتهت ثورة الزنج.[٣]

الحيـــــاة الاجتماعية:

عندما ظهرت الدولة العباسية بمساعدة الفرس؛ ساد العنصر الفارسي وقد اعتمد الخلفاء العباسيون على الفرس حتى جاء المعتصم فاعتمد العنصر التركي فاحتدم الصراع بين العرب والفرس والترك ، كما اشتعلت العصبية بين عرب الشمال وعرب الجنوب ومن ذلك يظهر أن الشعب كان يتكون من العرب ثم الفرس والترك والمغاربة.[٤]

وفي الجزء الثاني من العصر العباسي كان مجتمع العصر يتوزع إلى ثلاث طبقات أساسية : طبقة عليا تشتمل على الخلفاء ، والوزراء، والقواد، والولاة ومن يلحق بهم من الأمراء ،وكبار رجال الدولة ،ورؤوس التجار، وأصحاب الإقطاع ، وطبقة وسطى تشتمل على رجال الجيش، وموظفي الدواوين ،والتجار والصناع ، ثم طبقة دنيا تشتمل على العامة من الزراع، وأصحاب الحرف الصغيرة ،والخدم والرقيق ، ويأتي في إثر تلك الطبقات أهل الذمة .[٥]

انغمس العباسيون في الترف والبذخ بزيادة العمران وتدفق الثروة. وكانت قصور الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة مضرب مثل في حسن رونقها وبهائها وقد حفلت هذه القصور بالمغنيين والموسيقيين. هذا وقد تأثر العباسيون في منازلهم بالأساليب الفارسية خاصة؛ واقتدوا بهم في مظاهر البلاط ،وفي الاحتفال بالأعياد والمواسم ، وتنويع الطعام. وكذلك يظهر الأثر الفارسي على ظهور الأزياء الفارسية في البلاط العباسي.[٦]

وقد كان يتمتع بهذا البذخ والترف الخلفاء ،وحواشيهم ،والوزراء ،والقواد وكبار رجال الدولة، ومن اتصل بهم من مغنيين ،وشعراء، ومن العلماء. وكانت خزائن الدولة هي المعين الذي هيأ لكل هذا الترف، وكانوا يغدقون على العلماء والأطباء والشعراء والمغنين[١]. ونتيجة لاستقرار الدولة وكثرة المال ظهر الترف والنعيم واللهو واللعب.

ولعل لم يشغل الناس في ذلك العصر كما شغلهم الغناء؛ فأولعوا به وتفننوا في مجالسه وذهبوا فيه مذهبين: جديد، وقديم. وتعصب كل فريق لمذهب ورقصوا. وكان إسحق إبراهيم الموصلي يجيد الرقص والغناء.

---

[٢] / حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام، ج٣،ص٢١٦

[٣] / شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص٢٨

[٤] / حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٣٢٣

[٥] / شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص٥٢

[٦] / حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٢،ص٣٤٢

[١] / شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص٤٦

أما اللهو فقد عملت عدة عوامل على ظهوره وانتشاره وهي:
أولاً:اضطراب الحياة السياسية مما جعل الشباب يندفع خلف متعها.
ثانياً: تطور الحياة الاجتماعية.
ثالثاً: انتشار الجواري الأجنبيات في المجتمع وانتشار بيوت القيان . وكذلك انتشار شرب الخمر في ذلك العصر. وكذلك من العوامل التي ساعدت على انتشار اللهو ظهور المرجئة.[٢]

كان انتشار الجواري من الأسباب التي أدت إلى ظاهرة المجون؛ وقد بلغ في هذا العصر إلى درجة التهتك والاستهتار والفجور، مع تبجح في القول يصل أحياناً إلي ما يمس الدين؛ ولكن قائله لم يقله عن نظر وإنما قاله عن خلاعة ومجون.[٣]

بالإضافة إلى ذلك كان التحول في مقاليد الحكم، وما أصبح للفرس من مكانة رفيعة في المجتمع العباسي سبباً في بروز نزعة الشعوبية ،وهي نزعة تقوم على مفاخرة الشعوب الأعجمية للعرب مفاخرة تُستمد من حضارتهم، وما كان العرب فيه من بداوة. والمحقق أن رجال الفرس البارزين كانوا يزكون نار الشعوبية فيمن حولهم من الفرس؛ وقد اختلف الناطقون عنها بين عالِم، وأديب، وشاعر؛ منهم أبوعبيدة اللغوي الإخباري وأصله من يهود فارس، ومنهم عَلان الشعوبي الفارسي، وأهم شاعر في هذا العصر أوقد نيران هذه الخصومة هو بشار بن برد، وغيرهم.[٤]

وإلى جانب الشعوبية كانت هناك نزعة أخرى وثيقة الصلة بها وهي الزندقة. مضى الشعوبيون يعللون لنشر الديانات والمذاهب الفارسية من مانوية وزرادشتية التي تزعم أن للعالم إلهين إلهاً للنور وإلهاً للظلام . أما المانوية فقد دعت إلى مس الماء الطاهر، والاغتسال بالبول، وسرقة الأطفال، ودعت إلى جانب ذلك إلى إباحة الزواج من البنات والأخوات؛ وقالت بالتناسخ، وتحريم ذبح الطيور والحيوان . وقد ساعد على انتشار الزندقة سببان:
أولهما تلك الحياة الحضارية الجديدة التي كانت تدفع الناس إلى اللهو والتحلل من قيود الدين.
والعامل الثاني الحياة العقلية النشطة التي استوعبت الثقافات العقلية الأجنبية وما تنطوي

عليه من أبحاث فلسفية وجدل في الأديان.[١]

يجب ألا يتبادر إلى الأذهان أن العصر العباسي كان عصراً ملحداً غلبت عليه العنصرية، والمجون، والإلحاد ،وانحلال الأخلاق؛ فإن ذلك كان يشيع في طبقات خاصة. فقد كان المجتمع مجتمعاً إسلامياً وكانت الطبقة العامة فيه حسنة الإسلام تتمسك بفرائضه وسننه وشعائره. وكانت المساجد مكتظة بالعباد والنساك وكان في كل مسجد حلقة ؛ بل حلقات لوعاظ مختلفين.[٢]

وخير ما يختم به الحديث عن جوانب الحياة في العصر العباسي عبارات غاية في البلاغة لأحمد أمين وصف المدنية العباسية بقوله:(كانت ككل المدنيات مسجد وحانة،

---

[٢] / يوسف خليف،في الشعر العباسي نحو منهج جديد، دارا لثقافة، القاهرة،دون ط،١٩٨١م ، ص٢٢
[٣] / أحمد أمين، ضحى الإسلام،ج٢،ص١٥٧
[٤] / شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص٧٥
[١] / يوسف خليف، العصر العباسي، ص١٩
[٢] / شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص١٠٤

وقارئ وزامر، ومتهجد يترقب الفجر ومصطبح في الحدائق، وساهر في تهجد وساهر في طرب، وتخمة من غنى ومسكنة من إملاق، وشك في دين وإيمان في يقين كل هذا كان في العصر العباسي وكل هذا كان كثير.)[٣]

الحيـــــاة الثقافية:

بسطت الدولة العباسية جناحيها على كثير من الأمم، وكانت الأمم تختلف في عاداتها وتجاربها ومنهج تفكيرها ومقدار ثقافتها وعواطفها، وقد امتزجت هذه الأجناس فكان له الأثر في إنشاء نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل.

انتشرت في هذا العصر أربع ثقافات كان لها الأثر الكبير في عقول الناس وهي: الثقافة الفارسية، والثقافة اليونانية، والثقافة الهندية، والثقافة العربية، بالإضافة إلى ثقافات دينية أهمها اليهودية والنصرانية والإسلامية .[٤]

وقد تمثلت النهضة العلمية في ذلك العصر في عدة جوانب أهمها:

حركة التصنيف:ومرت بثلاث مراحل وهي مرحلة تقييد الفكرة أو الحديث، والمرحلة الثانية مرحلة تدوين الأفكار المتشابهة في ديوان واحد، المرحلة الثالثة هي مرحلة ترتيب مادُوِّن وتنظيمه. ومن أشهر المصنفين في هذا العصر مالك الذي ألف الموطأ وابن إسحق الذي كتب السيرة وغيرهم... بالإضافة إلى حركة تنظيم العلوم الإسلامية وقد أطلق عليها بعض المصنفين العلوم العقلية.[٥]

ومن تلك العلوم الإسلامية: التفسير وقد اتجه المفسرون فيه اتجاهين أولهما: التفسير المأثور وهو ما أثر عن الرسول وكبار الصحابة، وثانيهما التفسير بالرأي وهو ما كان يعتمد على العقل. ومن أشهر مفسري هذا النوع المعتزلة والباطنية. ولم تحدث الطريقة المنتظمة في تفسير القرآن إلا في العصر العباسي. ومن أشهر المفسرين بعد عبد الله بن عباس، ابن جريج،والسدي (ت١٢٧هـ)، ومقاتل بن سليمان الأزدي (ت١٥٠هـ). أما أشهر تفاسير المعتزلة تفسير أبي بكر الأصم (ت٢٤٠هـ) وتفسير ابن جرو الأسدي(ت٣٨٧هـ).[٦]

شهد هذا العصر تفسير القرآن كما سبق الذكر، وفصله عن علم الحديث عكس ما كان في السابق.أما علماء الفقه فقد اهتموا في تفسيرهم باستنباط الأحكام من القرآن، واهتم اللغويون بغريب القرآن،واستنبط النحويون قواعد النحو من القرآن. ومن مفاخر هذا العصر عاش فيه أئمة الفقه الأربعة وهم: أبو حنيفة(ت١٥٠هـ)، ومالك(ت١٧٩هـ)، والشافعي(ت٢٠٤هـ)، وأحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ).[١]

ومن العلوم التي اشتغل بها العباسيون علم الكلام وكان يطلق هذا اللفظ أول الأمر على من يشتغلون بالعقائد الدينية؛ غير أنه أصبح يطلق على من يخالفون المعتزلة ويتبعون أهل السنة والجماعة. ومن أشهر المتكلمين:واصل بن عطاء، وأبو الهذيل العلاف، وأبو الحسن الأشعري، والغزالي.[٢]

ومن العلوم التي اهتم بها العباسيون علم النحو الذي نشأ في البصرة والكوفة، وقد حفل العصر العباسي بأئمة النحو الذين شيدوا أركانه وأقاموا دعائمه في مدرستين:

---

[٣] / أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١، ص١٦١

[٤] / المرجع السابق،ج١، ص١٣٠

[٥] / أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٢٢٩

[٦] / حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٦٠

[١] / أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٢٣٢

[٢] / حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٧٤

البصرة،والكوفة وكان من أئمة النحاة البصريين عيسى بن عمر الثقفي (ت١٤٩هـ)،وأبو عمر بن العلاء(ت١٥٤هـ)،والخليل بن أحمد(ت١٧٥هـ)، وسيبويه (ت١٨٠هـ) وغيرهم، وكانت مدرسة البصرة تُعنى بوضع قواعد أساسية للغة العربية تبعاً لأغلب ما ورد عن العرب، فإذا ظهر ما يخالف هذا الغالب عوه شاذاً.[٣]

أما المدرسة الكوفية فقد كان بها طائفة من النحاة ؛غير أنهم لم يبرعوا في النحو براعة البصريين. وكان لهم مذهب خاص مقابل للمذهب البصري؛ ويُعنى بالسماع ويُقدمونه على القياس مهما كان شاذاً نادراً. وأقدم نحاة الكوفة أبو جعفر الرواسي، وخلفه معاذ بن مسلم الهراء، وأرسخ منه قدماً في الدراسات النحوية الكسائي(ت١٨٩هـ) وأهم نحاة الكوفة في هذا العصر الفراء(ت٢٠٧هـ)،وغيرهم..[٤]

ومن تلك العلوم التي ازدهرت في العصر العباسي الأدب. ظهر في العصر العباسي كثير من الشعراء الذين نهجوا بالشعر مناهج جديدة. ومن أشهر هؤلاء الشعراء أبو نواس؛ والذي اشتهر بالقول في الخمر والغزل والصيد وغير ذلك من فنون الشعر، وأبو تمام المشهور بنزعته العقلية والفلسفية في الشعر، وتلميذه البحتري،وابن الرومي،وأبو العتاهية وغيرهم من الشعراء. وابن قتيبة الذي حذا حذو أبو نواس في القول بالتجديد وكان أول من اشتهر بالنقد وكتابه الشعر والشعراء.[٥]

كانت النهضة الفكرية عند المسلمين في هذا العصر تعتمد اعتماداً ملحوظاً على نشاط واسع في الترجمة. وقد شجع المنصور العلماء على ترجمة كتب العلوم والآداب من اللغات الأخرى كالفارسية، واليونانية ،والهندية،وغيرها من اللغات السائدة في ذلك العصر؛فراح العلماء يترجمون من الكتب ما استطاعوا.ومن أبرز هؤلاء الباحثين عبد الله بن المقفع والذي ترجم العديد من الكتب منها كتاب (خندامية) وهو كتاب في تاريخ الفرس؛ وقد سماه تاريخ ملوك الفرس كما ترجم كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (مزدك) وغيرها....[١]

كما تُرجمت بعض الحكم؛ ونسبت لفيثاغورس، وسقراط ،وأفلاطون وأرسطو. ومثلت بها كتب الأدب في ذلك العصر مثل (البيان والتبيين)، وعيون الأخبار.[٢] ومن أشهر المترجمين في ذلك العصر: حنين بن إسحق، ويعقوب الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرحان الطبري .[٣]

أخيراً لابد من توضيح حقيقتين هما:

أولاً: إن المسلمين لم يكونوا مترجمين فقط ؛ وإنما كانوا مبتكرين ومبدعين في هذه المواد التي نقلوها من اللغات الأجنبية. فقد فسروها وأضافوا إليها شروحاً وتعليقات عظيمة ذات قيمة.

ثانياً: لعب المسلمون بهذا دوراً كبيراً في خدمة الثقافة العالمية؛فقد أنقذوا هذه العلوم من فناء محقق...[٤]

---

[٣] / أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٢٣٧

[٤] / شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص١٢٣-١٢٤

[٥] / حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٢٧٨

[١] / أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١، ص١٤١

[٢] / المرجع السابق ، ج١، ص١٩٦

[٣] / حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٨٤

[٤] / أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٢٤٤

المبحث الثاني : حياة المبرد

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليم بن سعد بن عبد الله بن يزيد ابن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم ـ وهو ثمالةـ بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث[١].

هناك اختلاف في بعض الأسماء في المصادر التي ترجمت له.....[*]

(وإلى ثمالة والأزد الموجودين في هذه السلسلة ينسب المبرد في بعض المصادر فيقال (الثمالي الأسدي). ونقل ابن النديم من خط (الحكيمي) في كتاب حيلة الأدباء قال أبو عبد الله محمد بن القاسم : كان (أبو) المبرد من السورجيين بالبصرة ممن يكسح الأرض وكان يقال له حيان السورجي. وانتمى إلى اليمن ولذلك تزوج المبرد ابنة الحفصي (المغني)والحفصي شريف من اليمن ويقال أن المبرد لم يكن من (ثمالة)وإنما ادعى أنه منها، وضع أبياتاً على لسان (عبد الصمد المعذل) يثبت بها نسبه وقد أوردها الحموي في معجمه، والأبيات هي:-

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُـلَّ حَيٍّ فَقَالَ القَائِلُونَ وَمَنْ ثُمَـالَةْ

---

[١] /الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، دون تر ، ص ١٠١

[*] ذلك إشارة إلى أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء، دار الكتب، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ج٥، ص٤٧٩

فَقُلْتُ:مُحَمَّدُ بْنَ يَزِيدَ مِنْهُـمْ فَقَـالُوا: زِدْتَنَا بِهِم جَهَـالَةْ
فَقَالَ لِي المُبَرِّدُ خِـلِّ قَوْمِي فَقَوْمِي مَعْشَرُ فِيْهِم نَذَالَـةْ **

ويقال أن هذه الأبيات للمبرد، وكان يشتهي أن يشتهر بهذه القبيلة فصنع هذه الأبيات فشاعت وحصل له مقصوده من الاشتهار).[٢]

وتكاد المصادر تجمع على أنه ولد يوم الاثنين في ذي الحجة ليلة عيد الأضحى سنة عشرة ومأتين، وقيل أنه ولد سنة عشرين ومأتين، وقيل مولده سنة سبع ومأتين.[٣]

اتفق أكثر المؤرخين على أنه توفى في شوال، وقيل ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومأتين في خلافة المعتضد وقيل سنة ستة وثمانين ومأتين. [٤]

أما ما يخص نشأته وصباه فلم تذكر المصادر عنها شيئاً سوى أنه كان جميلاً لاسيما في صباه [٥]. وقيل إن المبرد نشأ بالبصرة ، وإنه أكب منذ صغره على التزود من اللغة على أيدي أعلام عصره من البصريين. وكان شغوفاً بالنحو والصرف حيث قرأ كتاب سيبويه على الجرمي (ت٢٢٥هـ)؛ ثم توفى الجرمي فابتدأ قراءته على المازني (٢٤٩هـ).[٦]

أورد الزبيدي في طبقاته قول سهل بن أبي البهزي وإبراهيم بن محمد السمعي والذي يقولا فيه : (رأينا محمد بن يزيد وهو حديث السن متصدراً في حلقة أبي عثمان المازني يقرأ عليه كتاب سيبويه وأبو عثمان في تلك الحلقة كأحد من فيها).[١]

انتقل المبرد من البصرة إلى سر من رأى؛ وكان سبب حمله من البصرة فيما ذكره الزبيدي عن أحمد بن حرب صاحب الطيلسان الذي قال : (قرأ المتوكل على الله يوماً وبحضرته الفتح بن خاقان قوله تعالى:{وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ }[٢] بفتح همزة(أنها) فقال له الفتح: يا سيدي (إنها إذا جاءت) بكسر الهمزة . فتبايعا على عشرة آلاف دينار، وتحاكما إلى يزيد بن محمد المهلبي ـ وكان صديقاً للمبرد ـ فقال: والله لا أعرف الفرق، وما رأيت أعجب من أن يكون بباب أمير المؤمنين يخلو من عالِم متقدم، ولا أعرف أحداً يتقدم فتى بالبصرة يعرف بالمبرد. فقال المتوكل: ينبغي أن يشخص، فنفذ الكتاب إلى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمي، بأن يشخصه مكرماً.

فحدثني محمد بن يزيد قال: وردت سرَّ من رأى فأدخلت على الفتح بن خاقان فقال لي: يا بصري كيف تقرأ هذا الحرف (أنها) في قوله تعالى : (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ) بالكسر، أو(أنها إذا جاءت) بالفتح ؟ فقلت: (إنها) بالكسر هذا المختار وذلك أن أول الآية قوله تعالى :{ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ } ثم قال بتقدير قوله تعالى : يا

** فقد ورد في البيت الأول انه سأل عن ثمالة وهي قبيلته فقال الناس من ثمالة أي أنها غير معروفة عندهم فرد المبرد محمد بن يزيد فيها أي أنا المبرد فيها وهو المكني بالمبرد فرد الناس والله زدتنا بهم جهالة أي زدتنا باسمك جهالة فضحك الناس واستلطفوا هذه الأبيات فاشتهر كتابه واسمه أي اشتهار بهذه الأبيات ، والأرجح هو الرأي الذي يقول : هجا أحد الشعراء ـ عبد الصمد ابن المعذل ـ المبرِّد محمد بن يزيد،وهجا قبيلته بسببه

[١] / المصدر السابق، ج٥، ص٤٨٢

[٣] / نفس المصدر، ج٥، ص٤٨٥

[٤] / القفطي (الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي) ، أنباه الرواة على أنبه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ج٣، ص٢٥١

[٥] / السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م، ج٢، ص٢٦٩

[٦] / القفطي، أنباه الرواة، ج٣، ص٢٤٢

[١] / الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص١٠١

[٢] / الأنعام الآية ١٠٩

محمد (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) باستئناف جواب الكلام المتقدم ، قال: صدقت وركب إلى دار المؤمنين؛ فعرفه بقدومي وطالبه بدفع ما تخاطر عليه وتبايعا فيه فأمر بإحضاري فحضرت فلما وقعت عين المتوكل عليَّ قال: يا بصري كيف تقرأ هذه الآية(وما يشعركم إنها إذا جاءت) بالكسر،أو(أنها إذا جاءت) بالفتح؟ فقلت:يا أمير المؤمنين،أكثر الناس يقرؤها بالفتح،فضحك وضرب برجله اليسرى فقال :احضر يا فتح المال ، فقال: إنه والله يا سيدي قال لي خلاف ما قال لك ، فقال: دعني من هذا أحضر المال .

وأخرجت فلم أصل إلي الموضع الذي كنت أنزلته ،حتى أتتني رسل الفتح فأتيته؛فقال لي : يا بصري ، أول ما ابتدأتنا به الكذب! فقلت: ما كذبت . فقال : كيف وقد قلت لأمير المؤمنين إن الصواب (وما يشعركم أنها إذا جاءت) بالفتح ؟ فقلت: أيها الوزير لم أقل هكذا؛ وإنما قلت أكثر الناس يقرؤها بالفتح وأكثرهم على خطأ . وإنما تخلصت من اللائمة وهو أمير المؤمنين. فقال لي: أحسنت . فقال أبو العباس : فما رأيت أكرم كرماً ولا أرطب بالخير لساناً من الفتح.)[٣]

كان المبرد مقدماًُ في الدولة عند الوزراء والأكابر ولما مات الفتح ابن خاقان كتب محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحارث يحث في إشخاص محمد بن يزيد المبرد فلم يزل مقيما معه وسبب له أرزاقاً على مصر حسب ما كانت أرزاق الندامى تجري عليهم من هناك.[١]

قال ياقوت الحموي:(وبقي – المبرد – في بغداد حتى توفى فيها وذلك في شوال وقيل ذي القعدة سنة (٢٨٥هـ) في خلافته المعتضد وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي ودفن في دار في مقابر باب الكوفة)[٢]

ولما مات المبرد قيلت فيه هذه الأبيات ، قال المصنف أنها لثعلب وقيل لابن العلاف – والراجح أنها لابن العلاف لأن ثعلب لا يمكن أن يدعو للأخذ منه باسمه فالناظم يطلب من تلامذته أن يكتبوا عليه أنفاسه –والأبيات هي :-

ذَهَبَ المُبَرِّدُ وانقضت أيَّامِـهِ ولْيَذْهبَنَّ إثْرَ المُبَرِّدَ ثَعْلـبُ
بَيْتٌ مِنَ الآدَابِ أضْحَى نِصْفُـهُ خَرِباً وَبَاقِي النِّصْفَ مِنْهُ سَيَخْرَبُ
فَأبْكوا لِمَا سَلبَ الزَّمَانُ وَوَطِّنُوا لِلَدَّهْر أنْفُسَكُمْ عَلي مَا يَسْلُـبُ
وَتَزَوَّدُوا مِنْ ثَعْلَبٍ فَبِكَأسِ مَـا شَرِبَ المُبَرِّدُ عَن قَرِيبٍ يَشْـرَبُ
أوْصِيكُمْ أنْ تَكْتُبُوا أنْفَاسَـهُ إنْ كَانَت الأنْفَاسُ مِمَّـا يُكْتَبُ *[٣]

كان بين المبرد وثعلب ما كون بين المعاصرين من المنافرة واشتهر ذلك حتى قال بعضهم :-

كَفَي حَزَناً أنّـا جَمِيعـاً بِبَلْـدَةٍ وَيَجْمَعُنَا في أرْضِهَا شَرٌ مَشْهَدِ
نَرُوحِ ونَغْدُو لا تَزَاوُرَ بَيْنَنَـا وَلَيْسَ بِمَضْرُوبٍ لَنَا يَوْمُ مَوْعِدِ
فَأبْدَانُنَا في بَلْـدَةٍ والْتِقَاؤنَـا عَسِيرٌ كَلُقْيَـا ثَعْلَبٍ والمُبـرِّدِ

---

[٣] / الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣
[١] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص٢٤٧
[٢] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٤٨٥
* لما مات المبرد نظم أبو بكر الحسن المعروف بابن العلاف في المبرد وفي ثعلب تلك الأبيات
[٣] /ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د/إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، دون ط ، دون تر ، ج٤، ص٣١٩

ويروى أن المبرد كان يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب و الاستكثار منه وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع عنه .[٤]

حكى أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي وكان صديقهما قال: قلت لأبي علي الدينوري ختن ثعلب :لم يأت ثعلب الإجتماع بالمبرد. فقال:لأن المبرد حسن العبارة، حلو الإشارة ،فصيح اللسان،ظاهر البيان ،وثعلب مذهبه مذهب المعلمين؛ فإذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف بالباطن .لذا كان أكثر أهل التحصيل يفضلونه[٥]. وقد قال بعضهم في المبرد وثعلب :-

أيَا طَالِبَ العِلْمِ لا تَجْهَلَنَّ وَعُدْ بالمُبَرِّدِ أوْ ثَعْلَبِ
تَجِدْ عِنْدَ هَذيْنِ عِلْمَ الوَرَى فَلاتَكُن كَالجَمَلِ الأجْرَبِ
عُلُومَ الخَلائِقِ مَقْرُونَـــةٌ بِهَذَيْنِ فِي الشَرْقِ والمَغْرِبِ* [٦]

اختلفت المصادر حول سبب تلقيب أبي العباس بالمبرد .قيل أنه لقب بالمبرد لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب فقال له المازني :قم فأنت المبرد بكسر الراء .أي المثبت للحق فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء.[١]

أورد ابن خلكان في وفياته قول ابن الجوزي والذي يقول فيه (سئل المبرد : لم لقبت بهذا اللقب ؟ فقال :كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة فكرهت الذهاب إليه؛ فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني. فجاء رسول الوالي يطلبني فقال لي أبو حاتم : أدخل في هذا، يعني غلاف مزملة فارغاً. فدخلت فيه وغطى رأسه؛ ثم خرج إلى الرسول وقال : ليس هو عندي. فقال ــ الشرطي ــ : أُخبرت أنه دخل إليك. فقال أبو حاتم : أدخل الدار وفتشها. فدخل وطاف كل موضع في الدار ولم يفطن لغلاف المزملة ؛ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة : المبرِّد ، المبرِّد ،وتسامع الناس بذلك فلهجوا به... ثم قال : وقيل أن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان . وقيل غير ذلك.)[٢]

وأورد محمد عضيمة في مقدمة المقتضب(إن الوزير الأندلسي محمد بن هشام المصحفي المتوفى سنة (٤٨١هـ) يضبط الراء بالفتح أيضاً؛ قال: يقال له المبرَّد بفتح الراء.ولقب بالمبرَّد لحسن وجهه يقال رجل مبرَّد ، ومقسم ، ومحسن إذا كان حسن الوجه .)[٣]

أما ابن عبد ربه فيعلل فتح الراء بأن مبعثه سوء اختيار المبرد للشعر البارد في كتابه (الروضة) قال: (ألا ترى أن محمد بن يزيد النحوي على علمه باللغة ، ومعرفته باللسان وضع كتاباً سماه بالروضة وقصد فيه إلى أخبار الشعراء المحدثين؛ فلم يختر لكل شاعر

---

[٤] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٤٨١

[٥] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٤٨٤

* الأبيات لابن أبي الزهري وأولها: شكا ما به من هوىً منصب ... إلى إلفه الأوصب الأنصب
فبات بخدان حر الخدود ... بفيض دموعِهما السكب

[٦] / السيرافي (أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي) ، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض ، تحقيق إبراهيم محمد البنا ، دار الاعتصام ، دون م ، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص١٠٥

[١] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٤، ص٣٢١

[٢] / ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤، ص٣٢١

[٣] / المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد) ، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دون ن، القاهرة، دون ط، ١٣٩٩هـ، ج١، ص١٢ــ ١٣

إلا أبرد ما وجد له؛ حتى انتهى إلى الحسن بن هانئ فاستخرج له من البرد أبياتاً ما سمعناها ولا رويناها ، ولا ندري من أين وقع عليها..)[٤]

أورد عضيمة في مقدمة المقتضب قول الثعالبي في سبب تلقيب المبرد بهذا الاسم والذي يقول فيه: (إن الناس في سبب تلقيبه بالمبرد على قولين ، أحدهما أنه استحق قول الشاعر فيه :

إنَّ المُبَرِّدَ ذو بَرْدٍ على أدَبِـهِ   في الجِّدِ منْه إذا ما شِئْتَ أو لَعِبِ
وقلَّمــا أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ   إلاَّ وَمَعْنَــاهُ إن فَكَّرتَ فى لَقَبِــهْ[**]

والآخر أنه لقب بذلك على الضد ،و كما لقب المتوكل أم ولده المعتز، (قبيحة) وكانت أحسن نساء زمانها ، فنقشت على خاتمها: (أنا قبيحة وأقلب)[٥]

ويورد أيضاً قول نشوان بن سعيد الحميري ؛ الذي يقول فيه:(والمبرد لقب محمد بن

يزيد النحوي البصري لأنه كان يدرس في البرادة)[١]

وكان هذا اللقب سبباً في التندر عليه أحياناً ، وينقل ابن خلكان قول المبرد في هذا الأمر الذي يقول فيه:(ما تنادر أحدٌ[عليَّ] ما تنادر به سذاب الوراق . فإني اجتزت يوماً به وهو قاعد بباب داره؛ فقال لي : إلى أين ؟ ولاطفني وعرض عليَّ القرى. فقلت له: ما عندك؟ فقال : عندي أنت وعليه أنا . يشير إلى اللحم المبرد بالسذاب)[٢]

يقول عضيمة ـ في صفات المبرد ـ نقلاً عن الشيخ أبو حاتم السجستاني :(إنه كان غلاماً وسيماً ،وكان ظريف الطبع، خفيف الروح ،مليح الأخبار،كثير النوادر.)[٣]

ويقول عنه القفطي : (وكان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم ، وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة ، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان ، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة ، وبلاغة المكاتبة ، وحلاوة المخاطبة ، وجودة الخط ، وصحة القريحة ، وقرب الإفهام ، ووضوح الشرح ، وعذوبة المنطق ، على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه .)[٤]

ويقول السيرافي : (سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم.)[٥]

وكان المبرد حسن المحاضرة ، فصيحاً ، بليغاً ، مليح الأخبار ، ثقة فيما يرويه كثير النوادر ، فيه ظرافة ولباقة ، وكان كثير الأمالي .[٦]

وقال عنه أبو الطيب اللغوي : (أخذ النحو عن المازني والجرمي جماعة ، وبرع منهم أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي ، لم يكن في وقته ولا بعده مثله)[٧]

---

[٤] / ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي)، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م، ج٧، ص٨٢

[**] قائل البيت مجهول وقد أورده عضيمة في مقدمة كتاب المقتضب ج١، ص١٤

[٥] / المبرد ، المقتضب، ج١، ص١٤

[١] / المبرد ، المقتضب ، ج١، ص١٤

[٢] / ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤، ص٣١٧

[٣] / مقدمة محقق المقتضب ، ج١ ، ص١٦

[٤] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص٢٤٢

[٥] / السيرافي ، أخبار النحويين ، ص١٠٨

[٦] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج٥ ، ص٤٨٠

[٧] / السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين السيوطي)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، دار الجيل ، بيروت ، دون ط ، دون نر ، ج٢، ص٤٠٨

وينقل القفطي قول إسماعيل بن إسحاق القاضي وهو: (لم ير المبرد مثل نفسه ممن كان قبله ، ولا يرى بعده مثله .)[٨]
وقال الأزهري عنه وهو يفاضل بينه وبين ثعلب :(وكان محمد بن يزيد أعذب الرجلين بياناً،وأحفظهما للشعر المحدث والنادرة الطريفة ،والأخبار الفصيحة،وكان أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه .)[٩]
ووصفه الخطيب البغدادي بأنه :(شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية.. وكان عالماً فاضلاً موثوقاً به في الرواية حسن المحاضرة ،مليح الأخبار ،كثير النوادر.)[١٠]
أورد محمد رمضان في مقدمة كتاب البلاغة قول الثعالبي فالمبرد عند الثعالبي (بعيد الصوت في الأعيان ،من الأدباء والنحويين الذين يؤخذ عنهم ، ويقتبس منهم

المارة - وينقل كذلك وصف ابن كثير بأنه _ كان ثقة ثبتاً فيما يقوله).[١]
وتقول أكثر المصادر عن المبرد: (إنه كان فصيحاً بليغاً ،مفوهاً ثقة إخبارية ، علامة صاحب نوادر وظرافة ،وكان جميلاً لاسيما في صباه.)[٢]
روي عنه أنه كان شاعراً؛فبالإضافة إلى رياسته وتفرده بمذهب أصحابه و أربائه عليهم بفطنته وصحة قريحته كان يقول الشعر وكان لاينتحل ذلك ولا يعترى إليه ولا يرسم نفسه به[٣]، وكان له شعر جيد كثير لا يدعيه ولا يفخر به .[٤]
ومن شعره وقد بلغه أن ثعلباً نال منه :

رُبَّ مَنْ يَعْنِيهِ حَالِي   وَهْوَ لا يَجْرِي بِبَالِي
قَلْبُــهُ مَلآن مِنِّــي   وَفُؤادِي مِنْـهُ خَالِي*[٥]

ولكن رغم كل تلك الصفات التي ذكرت فيه؛إلا إنه كان بخيلاً بل كان من أبخل الناس بكل شيء ؛ حيث كان يقول : إنه لا يكون نحويٌ جواداً . فقيل له : وكيف ذلك؟ قال : ترونه يفرق بين الهمزتين . ولا يفرق بين سبب الغنى والفقر! يريد أن الإمساك سبب من أسباب الغنى ، والعطاء سبب من أسباب الفقر[٦] . وقال أيضاً:(ما وزنت شيئاً بالدرهم إلا ورجح الدرهم في نفسي .)[٧]

---

[٨] / القفطي، أنباه الرواة ، ج٣، ص٢٤٢
[٩] / أبو منصور محمد بن احمد بن الزهري الأزهري ، تهذيب اللغة ، تح أحمد عبد الرحمن مخيمر دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١، ٢٠٠٤م ، ص٣٨٠
[١٠] / الخطيب البغدادي(الحافظ أبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار الكتب ، بيروت ،دون ط ، دون تر ، ج٣، ص٣٨٠
[١] / المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد)، البلاغة ، تح محمد رمضان عبد التواب ، دون ن ، دون م ن ، ط٢ ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م ، ص٣٣
[٢] / السيوطي ، بغية الوعاة ، ج٢، ص٢٦٩
[٣] / الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص١٠٤
[٤] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص٢٤٧
* إن المبرد كان شاعراً فصيحاً ولم يكن لثعلب شعر إلا البيت النادر الشاذّ. يروى أن المبرّد مرض. فقال ثعلب لأصحابه:
قد وجبت علينا عيادته على ما بيننا وبينه فقوموا بنا إليه فجاءوا منزله، فلمّا أعلم المبرد بهم واستؤذن لهم قيل ليس بحاضر، فتناول ثعلب قطعة من خزف وكتب على بابه:

وأعجب شيء سمعنا به   عليل يعاد ولا يوجد

[٥] / ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٤٨٥
[٦] / الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص١٠٦
[٧] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص٢٤٩

المبحـــــــث الثـــــــالـــث :ثقافـــــــة المبـــرد وآثـــــاره

إن المبرد من جيل ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وتلميذ الجاحظ (ت٢٢٥هـ) روى عنه في عدة مواطن من كتبه . وقد صرح بروايته عنه في مواطن عديدة من(الكامل) فإذا كانت ثقافة كل من الجاحظ وابن قتيبة تتسم بالشمول والنظر الموسوعي مع فارق في الدرجة والنوع ؛ مسخرة لأغراض عقائدية أملاها انتماؤهما المذهبي ؛فإن ثقافة المبرد غلب عليها الطابع اللغوي بالدرجة الأولى والطابع الأدبي بالدرجة الثانية . فالرجل شيخ من شيوخ النحو والعربية .

والمتصفح لقائمة المصادر المنسوبة إليه يرى بوضوح هذين المترعين ـ اللغوي والأدبي ـ بالرغم من أنه لم يتخلف عن الإسهام بالتأليف في مشاغل عصره. إلا إنه إما باشر ذلك من زاوية لغوية .....أو إن إسهاماته لا تعدو الرسالة المفردة في الموضوع.

شيــوخه :

سيأتي فيما يلي ذكر بعض أساتذة المبرد الذين أخذ عنهم وروى عنهم وأولهم الجرمي (٢٢٥هـ) :تلقى المبرد العلم عن أشياخ عصره فبدأ بقراءة كتاب سيبويه على الجرمي ، ثم توفى الجرمي فابتدأ قراءته على المازني (ت٢٤٩هـ)[١]

ويقول المبرد عن الجرمي : (وكان أغوص على الاستخراج من المازني وكان المازني آخذ منه)[٢].

وقد جرى ذكر الجرمي والمازني في مواضع قليلة من المقتضب يقول المبرد عن المازني: (لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنحو وقد ناظر الأخفش في أشياء كثيرة فقاطعه)[٣]

وقد أخذ المبرد العلم بالإضافة إلى الجرمي والمازني على يد نخبة من علماء عصره منهم :

الجاحظ (ت٢٢٥هـ) ظهرت تلمذته على يد الجاحظ فيما رواه عنه في كتاب (الكامل) . حيث إنه كناه بالليثي تارة وباسمه الحقيقي تارة أخرى . ومن أمثلة ذلك قال : (قال أبو

---

١ / شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، دون تر ، ص١٢٣

٢ / السيرافي ، أخبار النحويين ، ص٨٤

٣ / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٢٤

العباس : قال الليثي هو الجاحظ)[٤]. وقال في أخرى :(قال أبو العباس : حدثني أبو عثمان الجاحظ)[٥]

التوزي : عبد الله بن محمد (ت٢٣٠هـ) أورد السيرافي في أخبار النحويين قول المبرد عن التوزي والذي يقول فيه : (ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبي محمد التوزي . كان أعلم من الرياشي والمازني وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة ، وقوله ـ أبو العباس ـ : وحدثني التوزي قال : كنت أقرأ على الأصمعي أنا وحبان)[٦] وقد جرى ذكر التوزي كثيراً في الكامل.

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير (ت٢٣٩هـ)[١]

الزيادي أبو إسحق إبراهيم بن سفيان (ت٢٤٩هـ) وروى عنه المبرد في كتابه الكامل حيث قال : (وحدثني الزيادي إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد)[٢]

السجستاني : أبو حاتم سهل بن محمد (ت٢٥٥هـ) أورد السيرافي قول المبرد الذي يقول فيه : (جئت السجستاني وأنا حدث فرأيت بعض ما ينبغي أن تهجر حلقته له ؛ فتركته مدة ثم صرت إليه)[٣]

الرياشي: أبو الفضل العباس بن الفرج (ت٢٥٧هـ) روى عنه المبرد حيث قال : (وحدثني الرياشي . قال : دخل أبو الأسود الدؤلي ....)[٤]

المغيرة : أورد محمد رمضان في مقدمة كتاب البلاغة رواية المبرد عن المغيرة في كتاب التعازي والمراثي والذي يقول فيه : (قال أبو العباس حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي .)[٥]

ولم تقف ثقافة المبرد عند التلقي من أفواه العلماء؛ بل قرأ ما وصل إليه من كتب السابقين عليه. فيقول :(قرأت أوراقاً من أحد كتابي عيسى بن عمر فكان كالإشارة إلى الأصول.[٦]

ويرى محمد عبد الخالق عضيمة أن أثر كتاب سيبويه في نفس المبرد وثقافته؛ أعمق من كل أثر فقد حذقه وهو حدث السن.)[٧]

كما يقول الزبيدي : (وحدثني اليوسفي الكاتب قال : كنت يوماً عند أبي حاتم السجستاني إذ أتاه شاب من نيسابور فقال له : يا أبا حاتم إني قدمت بلدكم وهو بلد العلم والعلماء. وأنت شيخ هذه المدينة وقد أحببت أن أقرأ عليك كتاب سيبويه . فقال له: الدين النصيحة إن أردت أن تنتفع بما تقرأ فأقرأ على هذا الغلام ؛محمد بن يزيد. فتعجب من ذلك .)[٨]

---

[٤]/ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) ، الكامل ، دار الفكر ، بيروت ، دون ط ، دون تر ، ج٢ ،ص٧٥

[٥] / المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٨

[٦] / السيرافي ، أخبار النحويين ، ص٩٥ ـ ٩٧

[١] / الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٢ ، ص٢٨٢

[٢] /المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢٣٤

[٣] /السيرافي ، أخبار النحويين ، ص١٠٣

[٤] /المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص١٢٧

[٥] / المبرد ، البلاغة ، ص٢١

[٦] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٤٨٦

[٧] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٢٦

[٨] /الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص١٠١

وذكره ابن جني فقال: (يعد جيلاً في العلم ،واليه أفضت مقالات أصحابنا وهو الذي نقلها وقررها وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها .)[٩]

وكما سبق الذكر فقد كان المبرد يقول الشعر ولا ينتحله؛ وكان له شعر جيِّد كثير لا يدعيه ولا يفخر به . فمنه قوله في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحارث وقد ورد عليه كتابه وفي درجة التسبيب بأرزاقه إلى مصر ؛ فأجاب عن الكتاب بأبيات قالها علي البديهة :-

بَنَفْسِي أخٌ بَرٌّ شَدَدْتُّ به أزْرِي فَأَلْفَيْتَه حُرَّاً علي العُسْرِ واليُسْـرِ
أغِيبُ فَلي مِنْهُ ثَنَاءٌ و مِدْحـــةٌ وأحْضُر مِنْهُ أحْسَنَ القَوْل والبِشْرِ
وما طَاهِرٌ إلا جَمَالٌ لصَحْبِـــهِ وناصِرُ عافِيهِ على كَلْبِ الدَهْـرِ
تَفَرّدتَ يا خيْرَ الورى فكَفيْتَنِي مُطالَبَةٌ شَنْعاءَ ضَاقَ لـها صَدْرِي
وأحسنُ مِنْ وجْهِ الحبيب ووصْلِهِ كِتابٌ أتاني مُدَرّجاً في يدي نَصْرِ
سُرِرْتُ به لمَـــا أتَى ورأيْتُنِي غَنّيتُ وإنْ كان الكتابُ إلى مِصْـرِ
فقُلْتُ رعاكَ اللهُ منْ ذي موَدَّةٍ فقَدْ فُتَّ إحْساناً وقصَّرتُ منْ شُكْرِي

وله في أحمد بن يحي ثعلب:-

قْسمُ بِالمبْتَسمِ العَذْبِ ومُشتكي الصّبِّ إلي الصِّبِّ
لو أخَذَ النحو الرَّبِّ مَـــا زادَهُ إلا عمى قـلْبِ)[١]

وأورد الزبيدي قول العجوزي(أبو بكر أحمد بن محمد بشار العجوزي البغدادي(ت ٢١١هـ))* الذي يقول فيه : (كنت يوماً عند أبي العباس محمد بن يزيد؛ واتاه رجل علي دابة علي رأسه فرافقة ؛وعلي كتفة طيلسان أخضر. فلما رآه أبو العباس قام إليه فاعتنقه ؛فأكبر الرجل قيامه إليه فقال له:أتقوم إلي يا أبا العباس!فقال له المبرد :-

أيُنْكَرُ أنْ أقومَ إذا بَدَا لي لأكْرِمَهُ وأعظِّمَهُ هشامُ
فلا تَعْجَبَ لإسْراعِي إلَيْهِ فإنَّ لمِثْلَهُ ذُخرَ القِيامُ)[٢]

كما كانت له صلات بشعراء عصره ومخالطة لهم ويروي عنهم شعرهم.

أُثر عن المبرد أنه كان ناقداً وكثيراً ما كان ينقد الشعراء ،وكان نقده للشعر يتناول جانب المعنى ، كما يتناول الجانب اللغوي والنحوي؛وقد ذكر المرزباني كثيراً من نقد المبرد للشعراء في كتابه الموشح . ومن أمثلة ذلك يقول المرزباني : (أخبرني إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي عن محمد بن يزيد المبرد قال: يعيب علي الفرزدق قوله :-

يا أخْتَ نَاجِيَّةُ ابْنِ سامَةُ إنَّني أخْشَى عَلَيْكِ بَنِي إنْ طَلَبُوا دَمِي[٣]

وقالوا :ما للمتغزل وذكر الأولاد والاحتجاج بطلب الثارات هلا قال كما قال جرير:-

قَتَلْنَنا ثمْ لَمْ يُحْيينَ قَتْلانَا[٤] .....)[٥]

ويقول: (أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي عن محمد يزيد المبرد قال:-
ومما يعاب به أبو تمام قوله:-

---

[٩] / ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني) ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق د/حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٥م ، ص٣٠
[١] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨
* وردت ترجمته في تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص٤٠٠
[٢] / الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص١٠٦
[٣] / علي فاعور ، شرح ديوان الفرزدق ، ،دار الكتب ، بيروت ، ط١ ،١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ص٥٥٠
[٤] / جرير ، ديوانه ، تح كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، دون ط، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص٤٩٢
[٥] /المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني) ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، جمعية نشر الكتب العربية ، القاهرة ، دون ط ، ١٣٤٣هـ ، ص ٣٢٠

تُتَقَّى الحَرْبُ مِنْهُ حينَ تَغْلي مَرَاجِلُها بشَيْطَانٍ رَجيمِ[٦]

فجعل الممدوح وهو الشيطان الرجيم....)[٧]

ومن شعر أبي نواس الذي يذم قوله في الرشيد:-

لقَـدْ اتَّقَيْتَ الله حَقَّ تُقــاتِهِ وَجَهَدْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ جَهدَ المُتَّقي[٨]

وليس هذا البيت الذي أردت ؛ ولكن ذكرته للذي بعده لأنه معطوف عليه متصل به وهو قوله :

وأخِفْتَ أهْلَ الشِرْكِ حَتى إنَّه لَتَخافُكَ النُّطفَ التي لمْ تُخْلَقِ[١]

هذا البيت بادئ العوار جداً ؛ وقد ردده في مكان آخر فقال:

هَـارونُ أَلِفْنَا ائتِـلافَ مـوَدَّةٍ ماتَتْ لها الأحْقَادُ والأضْغانُ

حَتَّى الذي في الرِّحْمِ لم يَكُن صُورَةً بفُـؤادِهِ منْ خوْفـهِ خَفَقـانُ[٢]

وما لم يكن له صورة فكيف يكون له فؤاد ؟فقد أحال ، وأسرف وتجاوز...)[٣]

قال المرزباني : (أخبرني إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي عن محمد بن يزيد المبرد قال : كان أبو العتاهية مع اقتداره في قول الشعر وسهولته عليه ؛ يكثر عثاره وقصاب سقاطه . وكان يلحن في شعره ويركب جميع الأعاريض وكثيراً ما يركب ما لا يخرج من العروض إذا كان مستقيماً في الهاجس .ومما أخطأ فيه أبو العتاهية قوله:

و لـرُبَّمــا سُئِلَ البَخيلُ الشَّيء الذي لا يَسْوَي فَتيلاً[٤]

لأن الصواب لا يساوي فتيلا ، من ساواه يساويه)[٥]

ومن أمثلة نقده النحوي ما نقله المرزباني عن الأخفش الذي يقول فيه : (أخبرني المبرد قال : أنشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه :

وقد مضت لي عشرونان ثنتان

فقلت له ــ والقول للمبرد ــ :أيها الأمير هذا لحن ،لأن إعراباً لا يدخل على إعراب.)[٦]

ويقول المرزباني : (أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي عن محمد ابن يزيد المبرد أنه قال : كان أبو نواس لحانة فمن ذلك قوله :

وما ضَرَّها أن لا تُعَدّ لِجَرْولٍ ولا المُزَني كعبٍ ولا لزيادِ[٧]

لحن في تخفيفه ياء النسب في قوله (المزني) في حشو الشعر وإنما يجوز في القوافي .)[٨]

تلاميذ المبرد :

تلقى العلم على يد المبرد جماعة من العلماء المشهورين منهم :

الدينوري: أحمد بن جعفر ختن ثعلب (ت٢٨٩هـ). وتذكر المصادر أنه كان يخرج من منزل ختنه أبي العباس ثعلب؛وهو جالس على باب داره فيتخطى أصحابه ؛ ويمضي ومعه

---

[٦] / إيليا الحاوي ، شرح ديوان أبو تمام ، ، دار الكتب ، بيروت ، دون ط ، دون تر ، ص٤٩٤

[٧] / المرزباني ، الموشح ، ص٣٢٠

[٨] / ابو نواس (الحسن بن هاني)، ديوانه ، تح أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون ط ، دون تر ، ص٤٠١

[١] / أبو نواس ، ديوانه ، ص٤٠١

[٢] /المصدر السابق ، ص٤٠٥

[٣] / المرزباني ، الموشح ، ص٣٢٠

[٤] / (أبو العتاهية) إسماعيل بن القاسم، ديوان أبو العتاهية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، دون ط ،١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ص٣٨٣

[٥] / المرزباني ، الموشح ، ص٢٦٢

[٦] / المصدر السابق ، ص٣٥٧

[٧] / أبو نواس ، ديوانه ، ص٤٧٣

[٨] / المرزباني ، الموشح ، ص٢٦٨

محبرته ودفتره فيقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد فكان يعاتبه أحمد بن يحيى ثعلب على ذلك . ويقول : إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل وتقرأ عليه ، ماذا يقولون ؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله.[٩]

ابن ولاد : أبو الحسن محمد بن الوليد بن ولاد التميمي (ت٢٩٨هـ) . رحل إلى العراق وأقام بها ثمانية أعوام ولقي المبرد وثعلب، وقرأ على المبرد كتاب سيبويه.[١]

ابن كيسان: محمد بن أحمد إبراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوي(ت٢٩٩هـ). وينقل الحموي قول الخطيب بن برهان فيقول: (كان ـ ابن كيسان ـ يحفظ المذهبين الكوفي والبصري في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب . وقال أبو بكر بن مجاهد : أبو الحسن بن كيسان أنحى من الشيخين ، يعني المبرد وثعلب . وقال المؤلف : وكان كما قال يعرف المذهبين إلا إنه كان للبصريين أميل . وحدث أبو الطيب اللغوي قال : كان ابن كيسان يسأل المبرد عن مسائل فيجيبه فيعارضها بقول الكوفيين).[٢]

الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي(ت٣١١هـ) . قال الخطيب : كان من أهل الدين والفضل . حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، وله مصنفات حسان في الأدب.[٣]

روى القفطي قصة عن اتصال الزجاج بالمبرد قال : (لما قتل المتوكل بسر من رأى ؛دخل المبرد إلى بغداد فقدم بلداً لا عهد له بأهله فاختل وأدركته الحاجة فتوخى شهود صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضر ؛ وسأله أن يفاتحه السؤال ليتسبب له المقول . فلم يكن عند من حضر علم فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق يفسر ويوهم بذلك أنه سئل ؛ فصارت حوله حلقة عظيمة..... فلما نظر ثعلب إلى من حول أبي العباس المبرد أمر إبراهيم بن السري الزجاج وابن الخياط بالنهوض ؛ وقال لهما : فضا حلقة هذا الرجل . فنهض معهما من حضر من أصحابه فلما صاروا بين يديه قال إبراهيم بن السري : أتأذن ـ أعزك الله ـ في المفاتشة **!؟** فقال له المبرد : سل عما أحببت . فسأله عن مسألة فأجابه عنها بجواب أقنعه.

فنظر الزجاج في وجوه أصحابه متعجباً من تجويد أبي العباس للجواب.... فبقي الزجاج مبهوتاً ؛ ثم قال في نفسه :قد يجوز أنه كان حافظاً لهذه المسألة مستعداً للقول فيها . فسأله مسألة ثانية ؛ ففعل المبرد فيها ما فعله في الأولى . حتى سأله أربع عشرة مسألة ؛ وهو يجيب عن كل واحدة منها بما فعل في المسألة الأولى .

فلما رأى ذلك الزجاج قال لأصحابه : عودوا إلى الشيخ فلست مفارقاً هذا الرجل ولابد لي من ملازمته والأخذ عنه . فعاتبه أصحابه وقالوا : تأخذ عن مجهول لا يُعرف اسمه ؛ وتدع من شهر اسمه وعلمه ، وانتشر في الآفاق ذكره **!** فقال : لست أقول بالذكر والخمول ؛ ولكني أقول بالعلم والعمل . قال: فلزم أبا العباس فسأله عن ماله ؛ فأخبره برغبته في النظر وإنه قد حبس نفسه على ذلك.)[٤]

أورد الحموي في معجمه قصة أخرى رواها ابن درستويه يقول فيها :(حدثني الزجاج قال :(كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو فلزمت المبرد لتعلمه . وكان لا يعلم مجاناً ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها. فقال لي : أيِّ شيء عن صناعتك ؟ قلت : أخرط الزجاج ؛وكسبي

---

[٩] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج١ ، ص٣١٣

[١] / الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص٢١٧

[٢] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٩٣

[٣] / الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٦ ، ص٨٩

[٤] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص٢٤٩ـ٢٥٠

كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف ؛ وأريد أن تبالغ في تعليمي ؛ وأنا أعطيك كل يوم درهماً ؛ واشرط لك أن أعطيك إياه أبداً إلى أن يفرق الموت بيننا ، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه. قال : فلزمته وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم فينصحني في العلم حتى استقللت . فجاء كتاب بعض بني مارقة من الصراة يلتمسون معلماً نحوياً لأولادهم . فقلت له : أسمني لهم . فأسماني ؛ فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليه في كل شهر ثلاثين درهماً.... وكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم في كل يوم إلى أن مات ولا أخليه من التفقد بحسب طاقتي.)[١]

الأخفش الصغير: علي بن سليمان بن الفضل(ت٣١٥هـ) ، سمع أبويَّ العباس ثعلباً والمبرد ، وفضلا اليزيدي وأبا العيناء الضرير.[٢] وقد أورد القفطي قول الأخفش والذي يقول فيه : (طلب إبراهيم بن المدبر ـ إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر أبو إسحاق الكاتب . شاعر مترسل ؛تولى الولايات الجليلة ووزر للمعتمد على الله (ت٢٧٩هـ)[٣]ـ من المبرد جليساً يجمع له بين تأديب ولده وإمتاعه بمؤانسته فندبني المبرد لذلك)[٤]

ابن السراج: محمد بن السري بن سهل أبو بكر السراج البغدادي النحوي (ت٣١٦هـ) ، قيل عنه : كان أحدث أصحاب أبي العباس المبرد مع ذكاء وفطنة ، وقرأ عليه سيبويه .... ويقال مازال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله ، وكان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين ، وإليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد.[٥]

الكلابزي : إبراهيم بن محمد بن العلاء (ت٣١٦هـ).أخذ العلم عن المازني والمبرد.[٦]

أبو بكر محمد بن شقر النحوي (ت٣١٧هـ)...

ابن الخياط : أبو بكر أحمد بن محمد بن منصور...

الفزاري : أبو زرعة الفزاري...[٧]

نفطويه : إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان (ت٣٢٣هـ). لقب بنفطويه تشبهاً بالنفط لدمامته وأدمته ؛ كان عالماً بالعربية واللغة والحديث ؛ أخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما[٨].

الخزاز : عبد الله محمد بن سفيان (ت٣٢٥هـ) أخذ عن المبرد وثعلب وغيرهما ، وخلط بين المذهبين، وكان معلماً في دار الوزير أبي الحسن علي بن عيسى الجراح.[٩]

الوشاء : محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى (ت٣٢٥هـ) حدث عن أحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن أسامة وثعلب والمبرد.[١٠]

أبو بكر المعروف بمبرمان النحوي : محمد بن علي بن إسماعيل العسكري (ت٣٢٦هـ) ، أخذ النحو عن المبرد وعن أبي إسحق إبراهيم الزجاج وأكثر عنه ... كان إماماً في النحو قيماً به.[١]

---

[١] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج١ ، ص٨٢ـ٨٣

[٢] /القفطي ، أنباه الرواة ، ج٢ ، ص٢٧٦

[٣] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج١ ، ص١٤٣

[٤] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٢ ، ص٢٧٧

[٥] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٣٤١

[٦] / السيوطي ، بغية الوعاة ، ج١ ، ص٤٣٢

[٧] / الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص١١٦

[٨] / ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ٤٧ـ٤٩

[٩] / السيوطي ، بغية الوعاة ، ج٢ ، ص٥٥

[١٠] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٤٥٤

[١] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٣٧٧ـ٣٧٨

ابن درستويه : أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسي الفسوي النحوي (ت٣٢٧هـ) ، نحوي جليل القدر ، مشهور الذكر ، جيد التصانيف.. روى عن جماعة من العلماء منهم من مشايخ الأدب أبو العباس المبرد ، وعن عبد الله بن مسلم بن قتيبة.[٢]

الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس (ت٣٣٥هـ) . كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير ، روى عن أبي داؤود السجستاني وأبي العباس ثعلب وأبي العباس المبرد وغيرهم .[٣]

ابن النحاس : أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبو جعفر (ت٣٣٧ه) . من أهل مصر رحل إلى بغداد فأخذ عن المبرد والأخفش علي بن سليمان ونفطويه والزجاج [٤]

الصفار : إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح (ت ٣٤١هـ) صحب المبرد صحبة اشتهر بها .[٥]

الأصبهاني : محمد بن يعقوب بن ناصح (ت٣٤٣هـ) أخذ عن ثعلب والمبرد.[٦]

القطان : علي بن إبراهيم بن سلمه بن بحر القطان القزويني (ت٣٤٥هـ) ، لقي المبرد وثعلباً وابن أبي الدنيا .[٧]

أبو الصقر : أحمد بن الفضل بن شبابه أبو الضوء النحوي (ت٣٥٠هـ) روى عن ثعلب والمبرد وابن دريد وأبي الحسن السكري وجماعة.[٨]

أبو بكر بن أب الأزهر: محمد بن أحمد بن مزيد ، مستملي أبي العباس المبرد.[٩]

الصيدلاني : أبو طاهر (روى القراءة عنه ـ المبرد ـ أبو طاهر الصيدلاني كذا أسند الهزلي قراءة أبي عمرو من طريقه إلى سيبويه عنه ولا أعرف هذا الطريق في القراءة).[١٠]

إضافة إلى هؤلاء ذكر القفطي في هامش أنباه الرواة جماعة منهم :

الأشناني : عمر بن حسن بن مالك .

الحكيمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم .

الخرائطي: محمد بن جعفر .

الـزاهـد : أبوعمر محمد بن عبد الواحد .

الدينوري : أبوبكر محمد بن مروان غلام ثعلب .

ابن زياد : أبو سهل أحمد بن محمد .

الطوماري : أبو علي عيسى بن محمد .[١]

إن علم المبرد الدقيق بالشعر وبراعته في النحو واللغة ؛ فكانت حصيلته مؤلفات تطرق فيها إلى ما تطرق إليه النحاة قبلة ؛ وأضاف إليها ما استفاد منه النقاد والبلاغيون بعده وهذه المؤلفات هي :ـ

---

[٢] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٢ ، ص١١٣

[٣] / ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٣٥٦

[٤] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج١ ، ص٦١٧

[٥] / السيوطي ، بغية الوعاة ، ج١ ، ص٤٥٤

[٦] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٧٥

[٧] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٣ ، ص٥٣٧

[٨] / السيوطي ، بغية الوعاة ، ج١ ص٣٥٣

[٩] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ص٧٠

[١٠] / محمد رمضان ، مقدمة كتاب البلاغة للمبرد ، ص٢٧

[١] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص٢٤٢

١/ الاختبار: ذكره المبرد نفسه في كتاب الكامل ؛ فقال : (وقد شرحنا ذلك في كتاب الاختبار.)[٢]
٢/ الاشتقاق : ذكره ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وفيه إقتباس منه ونصه :
(قال المبرد في كتاب الاشتقاق إنما سميت ثمالة لأنهم شهدوا حرباً فنى فيها أكثرهم، فقال الناس : ما بقي منهم إلا ثمالة ، والثمالة البقية اليسيرة.)[٣]
٣/ الإعتنان : ومنه إقتباس في خزانة الأدب ونصه : (وهذا البيت الشاهد (١١١) من قصيدة للصلتان العبدي عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً أوردها المبرد في كتابه (الإعتنان) .... والإعتنان معناه : المعارضة والمناظرة في الخصومة ، يقال عنَّ له. ومضمون كتاب الإعتنان : بيان الأسباب التي اقتضت التهاجي بين جرير والفرزدق.)[٤]
٤/الروضة : ومن الكتاب إقتباس في الأغاني ونصه :(وقدمه ـ أي العباس بن الأحنف ـ أبو العباس المبرد في كتابه (الروضة) على نظرائه وأطنب في وصفه ؛ وقال : رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه . قال : وكان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء ، وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً ، وكان ظاهر النعمة ....)[٥]
ومنه كذلك اقتباس في العقد الفريد ونصه :(ألا ترى أن محمد بن يزيد النحوي ، على علمه باللغة ، ومعرفته باللسان ، وضع كتاباً أسماه (الروضة) وقصد فيه إلى أخبار الشعراء المحدثين ، فلم يختر لكل شاعر إلا أبرد ما وجد له ، حتى انتهى إلى الحسن بن هاني وقلما يأتي له ببيت ضعيف ...)[٦]
٥/القوافي : وفي معجم الأدباء في ترجمة الآمدي : (رأيت سماعه على كتاب القوافي لأبي العباس المبرد ، وقد سمعه على نفطويه سنة ثلاث عشر وثلاثمائة.)[٧]
٦/مسائل الغلط : ومنه اقتباس في المزهر ونصه : (وأما ما تعقب به أبو العباس محمد بن يزيد كتاب سيبويه في المواضع التي سماها (مسائل الغلط) فقلما يلزم صاحب منه إلا الشيء النزر وهو أيضاً مع قلته من كلام غير أبي العباس ....)[٨]
٧/الجامع : تذكر كل المراجع أن المبرد لم يتمم تأليف هذا الكتاب ومنه اقتباس في خزانة الأدب ونصه : (وقد ينشد : أظبياً كان أمك أم حمار .على أنه جعل اسم كان معرفة وخبرها نكرة فهذا جيد ؛ إلا إنه كان يجب نصب حمار . لأنه معطوف على ظبي ؛فيجوز رفعه على إضمار مبتدأ . قال المبرد في كتابه (الجامع) والأجود في هذه الأبيات نصب الأخبار المقدمة ورفع المعارف ورفع القوافي على قطع وابتداء.)[١]
٨/إعجاز أبيات : يقول عضيمة في مقدمة المقتضب : (هي رسالة صغيرة بمكتبة الزهرة تشتمل على ٨٨ عجزاً وقد راعى أن تكون أعجازها حكماً مستقلة تستغني عن صدورها ، وكان ينسب العجز إلى قائله غالباً ، ويسوق ما يختاره من شعر الشاعر متصلاً .)[٢]

---

[٢] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٢٨٠
[٣] / ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٣٢٠
[٤] / البغدادي (عبد القادر بن عمر البغدادي) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، ج٢ ، ص١٧٦
[٥] /أبو الفرج الاصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني)، الأغاني ، تحقيق إحسان عباس وآخرون ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م ، ج٨ ص٢٥٣
[٦] / ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٧ ، ص٨٢
[٧] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٢ ، ص٤٦٩
[٨] / السيوطي ، المزهر ، ج٢ ، ص٣٧٢
[١] / البغدادي ، خزانة الأدب ، ج٤ ، ص٦٨
[٢] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٦٨

٩/البلاغة : رسالة من أحمد بن الواثق للمبرد نصها : (أطال الله بقاءك وأدام عزك أحببت ـ أعزك الله ـ أن أعلم أيُّ البلاغتين أبلغ ؟ أبلاغة الشعر أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع ؟ وأيتهما عندك ـ أعزك الله ـ أبلغ ؟ عرفني ذلك إنشاء الله..
وصدر المبرد جوابه بقوله : إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم ...)[٣]، نشر الرسالة والجواب عنها الدكتور رمضان عبد التواب سنة١٩٦٥م .
١٠/المقتضب : ويقول عضيمة في مقدمته : (ألفه شيخ العربية في وقته في زمن شيخوخته بعد أن اكتمل نضجه العقلي ، وعمق تفكيره ، واستوت ثقافته . لذلك كان أنفس مؤلفاته وأنضج ثمراته....والمقتضب أول كتاب عالج مسائل النحو والصرف بالإسلوب الواضح ، والعبارة البسيطة .)[٤]
١١/شرح لامية العرب للشنفري : يقول عضيمة في مقدمة كتاب المقتضب : (وقد طبعه بمطبعة الجوائب (مع أعجب العجب) للزمخشري وبمكتبة الأزهر ومكتبة الأحمدي ، نسخ منها مخطوطة.)[٥]
١٢/احتجاج القراءة.
١٣/أسماء الدواهي عند العرب.
١٤/أدب الجليس.
١٥/الأنواء والأزمنة.
١٦/التصريف.
١٧/التعازي.
١٨/الحث علي الأدب والصدق.
١٩/الحروف في معاني القرآن إلي سورة طه.
٢٠/الخط الهجاء.
٢١/الرسالة الكاملة.
٢٢/العروض.
٢٣/الناطق.
٢٤/الرد علي سيبويه.[٦]
أورد الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمة كتاب البلاغة بعض أسماء مؤلفات المبرد وهي :-
٢٥/الزمان.
٢٦/الكافي في الأخبار.
٢٧/غريب الحديث .
٢٨/الفتن والمحن .
٢٩/الشافي.[١]
٣٠/الوشي.[٢]

---

[٣] / المبرد ، البلاغة ، ص٨٠ ـ ٨١
[٤] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٧٠
[٥] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٦٨
[٦] / القفطي ، أنباه الرواة،ج٣،ص٢٥١-٢٥٢
[١] / المبرد ، البلاغة ، ص٦١-٦٢
[٢] / الداوودي (الحافظ شمس الدين محمد بن علي أحمد الداوودي) ، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ج٢، ص٢٧١

٣١/معنى كتاب الأخفش الأوسط.[٣]
٣٢/شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معاينها.[٤]
٣٣/معاني صفات الله جل أسمه .[٥]
٣٤/ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن.[٦]
وذكر ابن النديم مجموعة من مؤلفات المبرد وهي:-
٣٥/ الحروف.
٣٦/ الإعراب .
٣٧/ الرياض المونقة.
٣٨/ الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه.
٣٩/ الفاضل والمفضول.
٤٠/ طبقات النحويين البصريين.
٤١/ العبارة عن أسماء الله تعالى.
٤٢/ قواعد الشعر.
٤٣/ الكامل.
٤٤/ المدخل إلى سيبويه.
٤٥/ المدخل في النحو.
٤٦/ المذكر والمؤنث.
٤٧/ المقصور والممدود.
٤٨/ الممادح والمقابح.
٤٩/ معاني القرآن ،.. ويعرف بالكتاب التام.
٥٠/ ضرورة الشعر.
٥١/ شرح شواهد كتاب سيبويه.
٥٢ إعراب القرآن.[١]
٥٣/ نسب عدنان وقحطان[٢]
٥٤/ معنى كتاب سيبويه[٣]

هذه وغيرها من أسماء مؤلفات المبرد وردت له وقد عصفت حوادث الأيام بكثير منها ؛ ولم يصل منها إلا القليل مما يسبب الحزن والألم على ضياع هذه الثروة الغالية...

---

[٣] / القفطي ، أنباه الرواة،ج٣، ص٢٥٢، وفي هامش طبقات المفسرين، ج٢، ص٢٧١ (فقر كتاب الاخفش الأوسط)
[٤] / ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،ج٥، ص٤٨٦ ، وفي أنباه الرواة ،ج٣، ص٢٥٢ (تلخيص)
[٥] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣، ص٢٥٢، وفي معجم الأدباء ج٥،ص٤٨٦ (صفات الله جل وعلا)
[٦] / ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج٥، ص٤٨٦
[١] / (ابن النديم) محمد بن إسحق، الفهرست ، تحقيق شعبان خليفة وآخرون ، دار غريب ، القاهرة ، دون ط ، ١٩٩١م ، ص٩٨ـ ٩٩
[٢] / الداؤودي ، طبقات المفسرين ، ج٢ ، ص٢٧١ ، وفي معجم الأدباء ج٥ ، ص٤٨٦ ، وأنباه الرواة ج٣ ،ص٢٥٢ ، ورد باسم كتاب ((قحطان وعدنان))
[٣] / ابن النديم ، الفهرست ، ص٩٩ ، وورد في أنباه الرواة ج٣ ، ص٢٥٢ باسم ((فقر كتاب سيبويه))

المبحث الأول : البلاغة ما قبل المبرد

اشتهر العرب بالفصاحة والبلاغة وعمدوا إلى إصابة المحز بأقصر الطرق. وأخصر عبارة وكانوا يتباهون بتلك الفصاحة ويتفاخرون بها[١]. لأن العرب أشد فخراً ببيانها ،وطول ألسنتها ،وتعريف كلامها وشدة اقتدارها وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل قصر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال .[٢]

ولم تكن العرب تفخر بتلك الفصاحة فحسب ؛ وإنما كان يترتب على تلك الفصاحة أشياء ترفع من شأن العربي الذي يتسم بها[٣] . ويورد البغدادي في الخزانة قول الجاحظ الذي يقول فيه : (إن العرب كانت تسود على أشياء .... وكان أهل الجاهلية لا يسوِّدون إلا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء، والنجدة ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان ، وصارت في الإسلام سبعاً)[٤]

---

[١] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع ، الدوحة ، ط٢ ، دون تر ، ص١٥

[٢] / الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٥م ، ج٤ ، ص٢٨

[٣] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص١٥

[٤] / البغدادي ، خزانة الأدب ، ج٣ ، ص٩٠

ومادة البيان في أصل استعمالها عند أصحاب اللغة تدل على الانكشاف والوضوح ، قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...} [٥] واستخدموا(البيان) على الفصاحة واللسن ليس هو الأصل في الاستعمال وإنما أطلق عليهما لما فيهما من الاقتدار على الكشف والإبانة عن المعاني والخواطر الكامنة في النفس .[٦]

وقد بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه مثل قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [٧] ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة الرسول الكريم وحجته أن دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة وهي دعوة واضحة تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين مايجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير.[٨]

لم يكن حب البلاغة مقصوراً على فئة خاصة منهم ؛ وإنما كان طبع العرب كافة . وهو أعمق من أن يكون صفة لقبيلة معينة منهم بل لقد شاع حتى بين عامتهم واستمر ذلك . حتى بدأ اختلاطهم بغيرهم فخافوا على سلائق أولادهم فأخذوا يبعثون بهم إلى البادية ليظلوا في حجر العربية البعيد عن كل شائبة .[٩]

والشعر العربي جاهلي في نشأته عربي التكوين في روحه. فكانت حياتهم حياة قوم يستجيبون لداعي القلب أكثر مما يستجيبون لداعي الفكر والعقل ، يعيشون بأهوائهم . وكانوا مطبوعين لا يتكلفون في حياتهم . وكان الكلام الجيد عندهم أظهر فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم واتصل بعقولهم من غير تكلف[١٠] . وقد نفس أدبهم الذي خلفوه يحمل في تضاعيفه ما يصور منطقهم وكيف كانوا يتأتون الكلام حتى يبلغوا منه كل ما كانوا يريدون من استمالة القلوب والأسماع .[١]

وقد أحس بذلك الجاحظ فقال : (لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب .... وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور ميثوا (زللوا) الكلام في صدورهم؛ وقيدوه على أنفسهم فإذا قوَّمه الثقاف وأدخل الكثير، وقام على الخلاص ؛أبرزوه محككاً منقحاً ومصفى من الأدناس ومهذباً.)[٢]

انصرف كثير من الشعراء الجاهلين إلى الشعر انصراف عناية وتنقيح ، حرصاً منهم على أن يكونوا من فحول الشعراء وبلغائهم ، ورغبة تنزيه سعرهم مما أخذ على غيرهم .[٣] ويقول الجاحظ : (ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلاً؛ يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله ،ويقلب فيها رأيه ، اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زماماً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ؛ إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوَّله الله تعالى من نعمته . وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات ، والمقلدات ، والمنقحات ، والمحكمات ، ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً)[٤]، ومما

---

[٥] / إبراهيم الآية ٤
[٦] / بدوي طبانة ، البيان العربي ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ط٣ ، دون تر ، ص١٣-١٤
[٧] الرحمن من الآية ١ -٤
[٨] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٢ ، دون تر ، ص٩
[٩] / مازن مبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، دمشق ، دون ط ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ص٢٤
[١٠] / حفني محمد شريف ، البلاغة العربية نشأتها وتطورها ، مكتبة الشبان ، القاهرة ، دون ط ، ١٩٧٢م ، ص٦٣ - ٦٤
[١] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص١٠
[٢] / الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص١٤
[٣] / مازن مبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، ص٢٧
[٤] / الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص٩

لا شك فيه أن أسواقهم الكبيرة هي التي عملت على نشأة هذا الذوق ، وخاصة سوق عكاظ ، إذ كان الخطباء والشعراء يتبارون فيها.[٥]

وأسواق العرب تلك أشبه بمؤتمرات أدبية أو معارض لسانية يسود فيها جو من فصاحة اللسان ، ونصاعة البيان . وهي أسواق عرف العرب فيها أول نوع من أنواع الوحدة؛ وهي اللغة الأدبية التي انمحت أمام جودتها وفصاحتها لغات القبائل المحلية.[٦]

ويسجل حفني محمد شريف بعض الملاحظات على الصور البلاغية في الشعر الجاهلي فيقول : (حقاً أن الصور البلاغية وجدت في الشعر الجاهلي ؛ كفكرة توضح المعنى وتحسن الإسلوب وتعجب السامع ، وإن اختلفت ـ قلة وكثرة ـ فذاك راجع إلى اختلاف الزمان ... ولكن بدون تكلف . كما أحب أن أسجل أن الشعراء اختلفوا في استعمال تلك الصور ؛ فبعضهم يورد في شعره كثيراً من التشبيهات والآخر يورد في شعره المقابلات وحسن الإبتداءات .)[٧]

ومما سبق هناك سؤال يطرح نفسه وهو : هل كان العرب في الجاهلية ينزعون إلى هذه البلاغة الفنية المتكاملة بطريقة فطرية ساذجة تعتمد على الذوق وحده دون أن يكون للدرس أو المنهج أو الخطة نصيب في هذا العمل البلاغي الرائع**!؟**

اختلفت الآراء حول هذا الموضوع ولكنها لم تخرج من إطار الفطرة وإلفة الألسن والآذان . فصارت لها مقاييس وموازين دون أن يضعها أحد.

ومن تلك الآراء أو الردود على السؤال السابق ، ما ذهب إليه ابن رشيق بقوله : (إن العرب كانت تنظر في فصاحة الكلام، وجزالته ،وبسط المعنى وإبرازه ،وإتقان بنية الشعر ، وإحكام القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض)[١]. وتلاحم الكلام بعضه ببعض هو أرقى ما وصل إليه الفن البلاغي على يد الناقد ؛ فقد لاحظ زهير أن ما يقوله هو وغيره لا يتجاوز إعادة المعنى المعروف بألفاظ مختلفة وهذا يتفق مع تصريف المتأخرين لعلم البيان.[٢]

ويقول مازن مبارك معلقاً على نزوع العرب في الجاهلية إلى البلاغة : (إن البلاغة العربية إذ ذاك كانت أمراً فطروا عليه ، أو هدتهم إليه سلائقهم ،وعشقته نفوسهم ،وألفته ألسنتهم وآذانهم. فهم يعرفونه ولا يكادون يختلفون عليه . ولكننا لم نعرف لهم كلاماً فيه يبين عناصر البلاغة التي كانوا يتواخون)[٣] ، وهذا الرأي هو الأرجح والأقرب إلى الصواب ـ أغلب الظن ـ إذ إن عنايتهم بإحسان الكلام والتفنن في معارضه البليغة كانت عناية فطرية.

وأخذت تنمو هذه العناية بعد ظهور الإسلام بفضل ما نهج القرآن ورسوله الكريم من طرق الفصاحة ، وفي أخبار الرسول (ص) ما يدل على أنه كان يُعني أشد عناية بتخير

---

[٥] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص١١

[٦] / مازن مبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، ص٢٥

[٧] / حفني محمد شريف ، البلاغة العربية نشأتها وتطورها ، ص٦٧

[١] / ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن) ، العمدة ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، لبنان ، ط٥ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ج١ ، ص١٢٩

[٢] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص١٩

[٣] / مازن مبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، ص٣١

لفظه ، فقد أثر عنه أنه كان يقول : (لا يقول أحدكم خَبُثَتْ نفسي ، ولكن ليقل لقسَتْ نفسي) كراهية أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه .[٤]

وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خطباء مفوهين ، ومما يدل على شيوع دقة الحس حينئذ ما يُروى عن أبي بكر من أنه عرض لرجل معه ثوب؛فقال له : (أتبيع الثوب ؟ فأجاب : لا ، عافاك الله . وتأذى أبوبكر مما يوهمه ظاهر اللفظ ؛ إذ قد يظن أن النفي مسلط على الدعاء . فقال له : قل ، لا وعافاك الله)[٥]، وعلم بذلك الرجل الأماكن التي يجب فيها وصل الكلام وفصله ، ومعرفة مقاطع الكلام وتمييز فقره.[٦]

والبلاغة عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكشف عن المعنى وإيضاح الغامض وسهولة العبارة حين يقول : (البلاغة إيضاح الملتبسات، وكشف عوار الجهالات ، بأسهل ما يكون من العبارات)[٧]

وفي عصر بني أمية وجدت الخطابة بجميع ألوانها من سياسية وحفلية ووعظية ؛ فشاعت بين الناس وازدهرت إزدهاراً عظيماً . وفي كل لون من هذه الألوان يشتهر غير خطيب. وقد كثرت الفرق والأحزاب فكان هناك الخوارج ، والشيعة ، والزبيريون ، والأمويُّون ، وكان بجانبهم المرجئة ، والقدرية ، والجبرية ، والمعتزلة[٨]. فاشتهر من ولاة بني أمية زياد والحجاج وكانوا من أشهر خطباء السياسة ؛ ومن خطباء الشيعة زيد بن الحسين بن علي وكان صاحب لسانً جدلاً ، يجذب الناس بحلاوة لسانه وسهولة منطقه وعذوبته. ومن خطباء المحافل سحبان وائل ؛ وقد خطب بين يدي معاوية بخطبة باهرة سميت من حسنها باسم الشهواء[١]، ومثله صحار العبدي الذي راع معاوية بخطابته ، فسأله : ماتعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز ، فقال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صحار: إن تجيب فلا تبطئ وإن تقول فلا تخطئ .[٢]

والحق أن الملاحظات البيانية كثرت في هذا العصر ؛ وقد عملت فيها بواعث كثيرة منها تحضر العرب، واستقرارهم في المدن والحضر، ورقي حياتهم العقلية ، وكثرة الفرق والأحزاب؛ فنما العقل العربي . فكان من الطبيعي أن ينمو النظر في بلاغة الكلام ؛ وأن تكثر الملاحظات بحسن البيان.[٣]

وقد كان الشعر أكثر نشاطاً . وكان يمثل الطبع العربي والخيال والبيان العربي ، بعد أن انفسحت أمامه آفاق جديدة بالإسلام وبالفتوح والحوادث الداخلية ، وكان بجانب كل ذلك عناية الخلفاء الذين كانوا يرفعون من قدر الشعراء . وقل من خلفاء بني أمية من لم يقل الشعر .[٤]

قام في هذا العصر سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة مقام سوق عكاظ في الجاهلية، بل لقد تحولا إلى ما يشبه مسرحين كبيرين يغدو عليهما شعراء

---

[٤] / الجاحظ(أبي عثمان عمرو بن بحر) ، الحيوان ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة ومطبعة البابلي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م ، ج١ ، ص٣٣٥

[٥] / الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٦١

[٦] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢١

[٧] / أبو هلال العسكري (الحسين بن سهل (ت٣٩٥هـ))، الصناعتين ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط٢ ، دون تر ، ص٥٨

[٨] / حفني محمد شريف ، البلاغة العربية نشأتها وتطورها ، ص١٠١-١٠٢

[١] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص١٤

[٢] / الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٩٦

[٣] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص١٦

[٤] / حفني محمد شريف ، البلاغة العربية نشأتها وتطورها ، ص١٠٤-١٠٥

البلدتين ... من يفد عليهما من البادية لينشدوا الناس خير ما صاغوه . والمتصفح للشعر الأموي يتبين خصائصه والتي يعتبر البيان من أهمها ، ويحصرها حفني شريف في خمسة عناصر- هي :الطبع ، والبيان ، والشعور ، والإيجاز ، والجزالة .[٥]

لا يكاد يهل العصر العباسي الأول حتى تتسع الملاحظات البلاغية.وقد أدت لذلك أسباب مختلفة منها ما يعود إلى تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية ، ومنها ما يعود إلى نشوء طائفتين عنيت إحداهما باللغة والشعر . وعنيت الأخرى بالخطابة والمناظرة وإحكام الأدلة ودقة التعبير وروعته .

تطور النثر والشعر العربي تطوراً رائعاً . فقد استوعبا آثاراً أجنبية كثيرة نُقلت إليه - خاصة النثر - عن طريق الترجمة . مما جعل الفكر العربي يصطبغ بثقافات أجنبية كثيرة؛ فظهر المترجمون وعلى رأسهم ابن المقفع الذي يعد في طليعة من ثبتوا الإسلوب العباسي الجديد (الإسلوب المولد).[٦]

يعتبر ابن المقفع من أكثر الكُتاب الذين ترجموا عن اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وأشهرهم . وقد نسبه ضيف وغيره إلى العرب ؛ وهو من أصل فارسي كما جاء في الكتب التي ترجمت له . وربما نسب إلى العرب لأنه اكتسب ذلك بالولاء إذ أكثر من عمل بالنثر والترجمة - كما سبق الذكر - أو لأنه من المولدين .

وقد ذكر الرواة أن ابن المقفع سئل عن البلاغة وتفسيرها فقال : (البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكون ، ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً ، ومنها ما يكون رسائل ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة. فأما الخطابة بين السماطين وفي إصلاح ذات المنطق، فالإكثار في غير خطل والإطالة في غير إملال ، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك . كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته . فقيل له فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف ! فقال : إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنه لا يرضيها شيء ، وأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا تناله ، وقد كان يقال : رضا الناس شيء لا ينال)[١]

ومن الذين برعوا في فنون التعبير ، والذين طالما أداروا بينهم آراءهم في البيان والبلاغة جعفر بن يحي البرمكي وغيره من الكتاب . أما الشعر فلم يقل تطوراً من النثر إذ كانت له مكانة خاصة في هذا العصر وأهمية قصوى عند الخلفاء والحكام...إذ جددت الحضارة والمدنية وتطور الحياة العقلية في الشعر العباسي وأوجدت معاني جديدة . فالتفت الشعراء إلى الصور الفنية والإكثار منها كالتشبيه والاستعارة ، والعناية بالصورة البلاغية . وأول من التفت إليها بشار بن برد وإبراهيم بزهومة ، ثم مسلم وأبو نواس ... فقد رويَ أن مسلم بن الوليد فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع .[٢]

لم يكن الشعراء والكتاب وحدهم الذين مضوا يدرسون وجوه البيان والبلاغة في فنهم فقد كان يشركهم في ذلك طوائف منها طائفة اللغويين والنحويين ومنهم الخليل بن احمد ،

---

[٥] / المرجع السابق ، ص١٠٧

[٦] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص١٩-٢٠

[١] / الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص١٥

[٢] / حفني محمد شريف ، البلاغة العربية نشأتها وتطورها ، ص١٤-١٦ بتصرف

والفراء وكتابه (معاني القرآن) الذي تحدث فيه عن التقديم في الألفاظ والتأخير والإيجاز والإطناب وغيرها ،وكان يعاصر الفراء، أبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي ، ولأولهما كتاب يسمى (مجاز القرآن) ،أما الأصمعي فقد أشار من جاء بعده إلى أنه ألف في التجنيس كتاباً كما يظهر أنه أول من أفاض في الحديث عن المطابقة ، كما اقترح للالتفات اسمه الاصطلاحي ، كما تنبه للإيغال وإن لم يقترح له اسم .[٣]

أما الخليل فقد تناول العديد من فنون البلاغة فعرفها ، وتحدث عن خفة الألفاظ وسهولتها، وعن ثقلها وشناعتها ، وما يطرأ على حروف الكلمة من التنافر بسبب القرب أو البعد ؛ وقد أخذه عنه الرماني ، كما تحدث عن الحذف إذا علم المخاطب المراد لما في الحذف من الإيجاز والخفة ، وتناول زيادة الحروف والتعريف وأنه لابد منه في الندبة ، والتقديم والتأخير وإن لم يبين سبب بلاغته ، والفرق بين إن وإذا، والتعبير بالماضي بدلاً من المضارع ، والسر البلاغي في وضع المثنى موضع الجمع ، كما تناول التشبيه وبعض أدواته ، وكذلك التنويع ، كما ينقل عنه إبن المعتز الجناس والطباق.[٤]

وبذلك يمكن القول أن الخليل قد أدلى بدلوه في البلاغة ؛ وأسهم فيها بنصيب وافر وإن لم يذكر الباحثون عنه إلا النادر القليل ، ولم يتطوع لجمع آرائه البلاغية أيّ

باحث وإنما هي نتف هنا وهناك ولا تبين الأثر الذي تركه الخليل.[١]

أما سيبويه فقد ضمن كتابه العديد من الصور البلاغية وضرب لها أمثلة مختلفة وفسرها تفسيراً بلاغياً . إلا إنه لم يذكر لها أسماء اصطلاحية . فسيبويه ينص في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب تدخل في فن البلاغة مثل : التخفيف والإيجاز والسعة ..... ويعتبر سيبويه من الرواد الذين مهدوا الطريق لتناول الحذف وبيان مواضعه وسر بلاغته . مما كان له أفضل الآثار على اللاحقين ..... وكما وجد سيبويه للحذف أسباباً بلاغية؛ وجد أيضاً للذكر عللاً ودواعي يحسن بها الكلام ، ثم تحدث عن الإضمار ، ثم عن التقديم والتأخير ، وربما كان أول من طرق سر هذا اللون البلاغي [٢] ، ومن أمثلة ذلك قوله : ((في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله) فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل ، كقولك : ضرب زيداً عبد الله.... وكان حد اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدماً ، وهو عربي جيد كثير ، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم)[٣] ، كما اهتم بأدوات الاستفهام وتحدث عنها في مواضع جمة من كتابه. فسيبويه يفرق بين أدوات الاستفهام جميعاً والهمزة ؛ وفي ذلك يقول: (وأعلم أن حروف الاستفهام كلها يقبح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم . لو قلت : هل زيد قام ، وأين زيد ضربته ؟ لم يجز إلا في الشعر إلا الألف (الهمزة) لأن الألف قد يبتدأ بعدها الاسم)[٤] وتحدث عن النداء فيقول : (وهذا باب ما يكون النداء فيه مضافاً إلى المنادى بحرف الإضافة)[٥].

---

[٣] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص٢٩-٣٠

[٤] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٧٤

[١] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٧٤

[٢] / المرجع السابق ، ص٧٩-٨٩ بتصرف

[٣] / سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ج١ ،ص٣٤

[٤] / المصدر السابق ، ج١ ، ص١٠١

[٥] / نفس المصدر ، ج٢ ، ص٢١٥

أما الفراء فقد تطرق في كتابه (معاني القرآن) إلى كثير من المباحث البلاغية . فقد أجاز الحذف في جميع المواضع، كما سمى الحذف تركاً كما في قوله تعالى: {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ...} [٦] أو إسقاطاً كما في قوله تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم...} [٧] أي فقال أكفرتم. فلما أسقط القول سقطت الفاء معه [٨] ، وأجاز الفراء الزيادة في القرآن الكريم ، أما التقديم والتأخير فلم يضف الفراء إلى ما قاله سيبويه شيئاً ، وعن الاستفهام فالرأي متحد بين الفراء وسيبويه ، أما التكرار فقد دخل الفراء في تفصيل يغلب عليه الطابع النحوي ، ويذكر الالتفات ، ويتناول الفصل والوصل ، وقد كانت ملاحظة عابرة لم يطبق عليها الفراء هذا المصطلح البلاغي ، وتحدث عن المجاز العقلي مستعيناً بآراء سيبويه ، وتناول القصر في أداتين يعني بهما النفي والاستثناء أما القلب فقد أجازه الفراء في القرآن وفي الشعر ، وتناول التشبيه مقصراً في فهمه عن فهم أبي عبيدة وسيبويه .[٩]

كان الفراء باهت الشخصية في كثير من مسائل البلاغة؛ فقد نقل عن السابقين دون أن يضيف شيئاً ، أما حديثه عن الاستعارة يعتبر طفرة كبيرة إذ يعتبر صاحب الفضل الأول في إبراز هذا الإسلوب وتحديد معالمه ، أما الكناية فمعظمها يدل معناها عنده الضمير وهو إدراك لغوي [١] . فيقول في قوله تعالى :{ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ...} [٢] ؛ يقول : (الهاء كناية عن القرآن ، فأتوا بسورة من مثل القرآن وقوله :{ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ... } [٣] إن شئت جعلت هو كناية عن الإخراج أي يريد إخراجهم محرم عليكم .)[٤]

أما ابن قتيبة فقد تناول ألواناً بلاغية عديدة نثرها متفرقة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) وتظهر في قوله : (وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الاستعارة ،والتمثيل، والقلب ،والتقديم والتأخير،والحذف والتكرار، والإخفاء ،والإظهار، والتعريض ،والإفصاح، والكناية، والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصر بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ، مع أشياء كثيرة ستظهر في أبواب المجاز)[٥] ؛ وكأن كلمة المجاز عند ابن قتيبة لا تزال تستخدم بمعناها الواسع الذي استخدمها فيه أبو عبيدة.[٦]

ومما لا شك فيه إن البلاغة لم تتطور كثيراً على يد ابن قتيبة في جوهرها ولكنها خطت خطوة واسعة نحو التبويب والترتيب ، حيث وضع الألوان البلاغية تحت أبواب مفصلة وجمع شواهدها وميز بينها .[٧]

وأخيراً ما اثر عن المعتزلة في البلاغة ، صحيفة بشر بن المعتمر(ت٢١٠هـ) رواها الجاحظ في (البيان والتبيين) تامة غير منقوصة . فبشر أول كلامه ينصح كل أديب أن لا يقبل على عمله إلا إذا كان مستعداً له استعدادا كاملاً ؛ويلاحظ أن من يصطنع

---

[٦] / النحل الآية ٨٣
[٧]/ آل عمران الآية ١٠٦
[٨] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص١٠٣
[٩] / المرجع السابق ،ص١٩٢
[١] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص١٦٩- ١٧٣
[٢] / البقرة الآية ٢٣
[٣] البقرة الآية ٨٥
[٤] /الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) ، معاني القرآن ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م ،ج ١ ، ص٢٩١
[٥] / ابن قتيبة (أبي محمد عبد الله بن مسلم) ، تأويل مشكل القرآن ، شرح السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م ، ص٢٠
[٦] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص٥٩
[٧] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة غي البحث البلاغي ، ص١٩٢

الأدب، والكلام البليغ لا يخلو من إحدى ثلاث منازل : أولاها منزلة البليغ التام ، وثانيها منزلة من لا تسعفهم طبائعهم بالألفاظ والقوافي الجيدة والكلمات المتشاكلة، بل يجدون في ذلك عسراً أيَّ عسر ، ووراء هاتين المنزلتين منزلة ثالثة وهي منزلة من شحت طبائعهم ومن نضبت ينابيع القول في نفوسهم .[٨]

ويؤكد الجاحظ فكرة بشر في المطابقة مطبقها على البدو . فكان الجاحظ دائماً يؤكد فكرة بشر مضيفاً إليها ما يوثقها ويوضحها ، ويتوسع في الحديث عن الإطناب والإيجاز ومواضعها ، ويقول في الإيجاز : (وإنما ينبغي للمتكلم أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه ، ولا يردد ، وهو يكتفي في الإفهام بشطره ، فما فضل على المقدار فهو الخطل)[٩]، وينكر أن يكون الإطناب باتساع القول من حيث هو ، وأنكر أن تكون دلالة الألفاظ المترادفة واحدة ، فلكل لفظة منها داخل سلكها دلالتها الخاصة ، وقدم جودة اللفظ على المعنى فيقول : (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ....)[١] على أنه لم يسقط المعاني جملة ، فقد كان يرى أنها تحل من الألفاظ محل الروح من البدن .[٢]

وتحدث عن تأثير السجع في نفوس السامعين مورداً بعض نماذجه ، وأيضاً تحدث عن الإذدواج ،وتنبه لما سماه البلاغيون بعده باسم الاحتراس ، وقد سماه إصابة المقدار ،كما أشار في موضع إلى الاعتراض والتعريض والكناية .[٣]

ومن قوله : (إذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل ، وإذا قيل للعامل (الوالي) مستقص فذلك كناية عن الجور)[٤]

وتعرض الجاحظ أيضاً للمجاز والتشبيه وذكرهما في كثير من المناسبات وقد أكثر من ذكر التشبيه بمعناه الاصطلاحي ، وكذلك صنع بالاستعارة وهي عنده من باب المجاز ، ويدخل الاستعارة التمثيلية هي الأخرى في المجاز .[٥]

وتحدث عن البديع الذي شاع بين شعراء عصره فقال : (والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان ، والراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعره في البديع)[٦]

وأخيراً يعتبر الجاحظ من مؤسسي علم البلاغة ، لما احتواه كتابيه (البيان والتبيين) و (الحيوان) من ملاحظات بلاغية ، وفي ذلك يقول شوقي ضيف : (ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الجاحظ يعد ـ غير منازع ـ مؤسس البلاغة العربية ، فقد أفرد لها لأول مرة كتابه (البيان والتبيين) ونثر فيه كثيراً من ملاحظاته وملاحظات معاصريه ، وتعمق وراء عصره.... وقد مضى ينثر في كتابه (الحيوان) تحليلات لبعض الصور البيانية في الذكر الحكيم ..... وهو حقاً لم يكن يعنى بوضع ملاحظاته في شكل قوانين محددة بالتعريفات الدقيقة .)[٧]

---

[٨] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص٤٤
[٩] / الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص٩١
[١] / الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص١٣١
[٢] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص٤٦ـ٥٢ بتصرف
[٣] / المرجع السابق ،ص٥٣ـ٥٤
[٤] / الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٦٣
[٥] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص٥٥
[٦] / الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٤ ، ص٥٥
[٧] / شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص٥٧ـ٥٨

المبحث الثاني: منهج ومادة الكامل

ربط كتاب الكامل بالمبرد والمبرد بالكامل أشد ارتباط فلا يكاد يذكر أحدهما حتى يذكر الآخر تلقائياً؛ لأن الكامل يمثل المبرد وثقافته وعصره وبيئته أصدق تمثيل.[١]

إن كتاب الكامل على نفاسته وتفرده بالغريب من الموضوعات؛ يشبه (البيان والتبيين) للجاحظ من نواح كثيرة ، ويختلف عنه أيضاً في نواح عديدة . وهذا التشابه أو ذاك التباين لا ينالان من قدر الكتاب؛ وإنما هو المنهج المبكر الذي لم يكن يعتمد على الخطة والتبويب والالتزام بالموضوع الذي يعالجه الكاتب. فضلاً عن الاستطراد ثم العودة إلى الموضوع مرة ثانية. كل ذلك كان سمة واضحة اتسم بها كل من (البيان والتبيين) و(الكامل).[٢]

ولعل من يقرأ كتاب الكامل بتمعن وتدبر سوف يقف على حقيقة مهمة ومؤادها أن هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الدروس ألقيت على التلاميذ؛ ألقاها المبرد في حلقات الدرس التي كان يعقدها لتلاميذه ؛ فقد كان يردد بين الفينة والأخرى كلمة (يا فتى). ولذا فقد سيطر عليه نظام الدروس العامة التي تجمع كثيراً من صنوف متعددة وألوان شتى تحفل بها مائدتها دون ارتباط بينها ؛ إلا الإلقاء والاستماع .[٣]

أوجز المبرد في مقدمة الكتاب مادته والمنهج الذي سوف يسير عليه.[٤] يقول:" هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الأدب ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف،ومثل سائر،وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة" .[٥]

وأما سبب تأليفه للكتاب؛ هو تفسير الكلام الغريب، والمعاني المغلقة ،وشرح الإعراب، وأن يكون الكتاب مستغنياً بنفسه؛ وفي ذلك يقول : " والنية أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه شرحاً وافياً حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً."[٦]

---

[١] / عبد الواحد حسن الشيخ ، قضايا النقد الأدبي والبلاغة عند اللغويين في القرن الثالث الهجري ، الهيئة المصرية العامة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٠م، ص٤٢٥

[٢] / مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٢م ، ص٢١٣

[٣] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص ٤٢٣ـ ٤٢٤

[٤] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، دار المعارف ، مصر ، دون ط ، دون تر ، ص ٢٢٢

[٥] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢

[٦] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢

ومعنى هذا أن المبرد قد أتى بالنصوص المختارة في كتابه لتخدم غرضاً لغوياً أو نحوياً. وهو مجال اهتمامه الأول ، فإذا كان الجاحظ قد أودع كتابه (البيان والتبيين) مجموعة من المختارات الأدبية الرائعة . فقد كان يهدف من ذلك إلى أن يستشهد بها على وجوه البيان والفصاحة والبلاغة التي استخلصها. أما المبرد فإنه يستخدمها استخداماً آخر وذلك بقصد الكشف عن المشكلات اللغوية والنحوية ؛ وهي تعد في الحقيقة من قبيل البحث العام في اللغة والنحو .[٧]

وقد علق عبد الواحد حسن على مقدمة الكتاب بخلاف ما سبق فقال : "فهذه الخطبة الموجزة تؤكد صدق ما ذهبنا إليه من انعدام التخطيط المدروس لدى المؤلف عندما أراد تأليفه... لذا وقعت المادة فيه كيفما وقعت حسب الظروف المتاحة أو وفق الدرس ومناسبته . فلو كان ثمة منهج يترسم خطاه لما تأخر عن ذكر طرف من أخبار الخوارج التي تناولها فيما بعد... بالإضافة إلى أنه ليس ثمة رابط ـ إلا فيما ندر ـ بين أبواب الكتاب. ولعل من يتتبع أخبار الخوارج وذكرهم وانقطاع الكلام عنهم.... سوف يرى أن المبرد لم يسر وفق منهج معين؛ بل كانت المادة جاهزة في ذهنه معدة سلفاً قبل أن يلقيها بصورتها الحالية ."[١]

أما بدوي طبانة فقد خالفه في الرأي ويرى أن المبرد قد وفى لمنهجه فيقول:" إن المبرد قد وفى لهذا المنهج وحققه تمام التحقيق . ويبدو أن المبرد في رسمه هذا المنهج والتزامه في ثوب المحافظين المتزمتين الذين يحاولون أن يصلوا جديد الأدب بقديمه ، وينظرون إلى هذا القديم على أنه الأصل الذي يحتذى والصورة الجديرة بالمحاكاة مع وجوب المحافظة على الأصل والإشادة به ."[٢]

ولكن الطاهر أحمد مكي يرى غير ذلك فيقول :"وعبر الكتاب تحدث ـ المبرد ـ في إشارات مختصرة عن الشعراء المحدثين فخصهم بباب قدم له بقوله: " هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة، يحتاج إليها للتمثيل لأنها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب"[٣]،وأوضح في مكان آخر: "وليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق"[٤]، وبحديثه عن القدامى والمحدثين مهد القول لابن قتيبة لكي يزيد الأمر تفصيلاً ووضوحاً ."[٥]

ويعود عبد الواحد حسن يدافع عن كتاب الكامل ومنهجه؛ مستنكراً قول الذين جعلوه ـ الكامل ـ تمهيداً للعمل المعجمي فيقول: "شتان مابين كاملنا وبين الكتب المعجمية، فهو يضم مادة غزيرة مختلفة تقع على الكثير من الأدب واللغة والنحو ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ؛ فإن تنقيصهم من قيمة المقدمة واتهامهم بقصورها فإننا نعتقد أنها أبانت عما ارتاده المبرد لكامله، وما احتواه فقد حوى ضروباً كثيرة وفنوناً عديدة من علوم العربية.... واتبع منهجاً معيناً . فهو وإن لم يحدد منهجاً يسير وفقه لكننا استطعنا أن نلحظ عنده خطوات معينة اتبعها وسار عليها في كثير من تضاعيف الكتاب وإن لم يحددها من قبل ."[٦]

---

[٧] / عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص١٥١

[١] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص ٤٢٥

[٢] / بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي " الجاهلية إلى القرن الثالث" ، دار الثقافة ، بيروت، ط٦ ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ، ص٢٣٩

[٣] / المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص ٢

[٤] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٤

[٥] / الطاهر احمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣

[٦] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٢٦

يحمل كتاب الكامل طابع العصر الذي ألف فيه؛ فهو يميل إلى الاستطراد وينتقل من قضية إلى أخرى لأدنى ملابسة ، وتجاوز دوره في النصوص الأدبية الجمع والاختيار على الشرح اللغوي ، والتصويب النحوي، وتتبع دلالات اللفظ الواحد في وجوهها المختلفة [٧].

كما يتعرض لذكر الوجوه التي يرى أن لابد من ذكرها حتى يقف التلميذ على أصوبها مثل كلمة ناخرة في قوله : " نظر إلى عمرو بن العاص على بغلة قد شمط وجهها هرماً، فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة "[١]. فتراه بعدما أتى بكلمة ناخرة يأتي باستعمالات شتى وتفسيرات مختلفة لهذه الكلمة[٢] ؛ فيقول :"ويقال للواحدة ناخر وقيل ناخرة يراد جماعة"[٣]

وباعتباره ـ المبرد ـ من أئمة اللغويين فإنه إذا تعرض لمشكلة لغوية سبر أغوارها ،وبسط جوانبها، وزادها وضوحاً [٤]؛مثل قوله :" والكرائم جمع كريمة والاسم من فعيلة والنعت يجمعان على فعائل ، فالاسم نحو صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن والنعت نحو عقيلة وعقائل ، وكريمة و كرائم. "[٥]

وربما مثل هذا الشرح والتفسير للكلمة وتوضيح معناها ، وغير ذلك مما سار عليه المبرد في كتابه ؛ مما جعل بعض المصنفين يلحقون كتابه بالمعاجم وهو لا يبرأ منها . وقد يكون أخذ اسم الكامل أراد به الشامل، أي شامل لكل ما يتعلق باللغة وقد ذكر المبرد ذلك في مقدمة كتابه.

والمبرد عربي أزدي يماني والكامل يمثل هذه المعاني تمثيلاً صحيحاً ، فما فيه ثقافة عربية خالصة . والمرة الوحيدة التي أخرج فيها مجال تخصصه أخطأ القول وجانبه الصواب ؛ فقد أورد أبياتاً للشاعر إسماعيل بن القاسم رثى بها شخصاً وختمها بالبيت:

وكَانَتْ في حَياتِكَ لي عِظَاتٌ فأنْتَ اليَوْمَ أوْعَظ منكَ حيَّاً[٦]

فعقب عليها : " وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يخلى شعره مما تقدم من الأخبار والآثار ،.... ويسرقه أخفى سرقة . فقوله وأنت اليوم أوعظ منك حياً ؛ إنما أخذه من قول الموبز لقباز الملك حيث مات ،فإنه قال في ذلك الوقت كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه الأمس."[٧]

وهذا خطأ واضح لأن الجملة قيلت أمام تابوت الإسكندر الأكبر غداة موته وليس لقباز ملك فارس من عمل جليل يحمد عليه أو يورثه ذكراً . وخص أزواد اليمن في الإسلام بباب خاص؛استعرض فيه تاريخهم. وحديثه عن قومه من اليمن يشوبه العطف عليهم ، دون أن يفقد جادة الحق والاعتدال.[٨]

ويؤكد أحمد أمين تعاطف المبرد في حديثه عن قومه من خلال اتهامه لكتاب الكامل بالعصبية فيقول :" يمثل كتاب الكامل العصبية القبلية تمثيلاً صحيحاً فهو يتعقب

---

[٧] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص٢٢٣
[١] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص١٨٠
[٢] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص ٤٢٧
[٣] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص١٨٠
[٤] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص ٤٢٧
[٥] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص١٥٣
[٦] / أبو العتاهية ، ديوانه ، ص٤٢٧
[٧] / المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص١٠٩
[٨] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص٢٢٣

للأزد ولليمانيين ؛ ويروي الكثير من الصحيح والسقيم لإعلاء شأنهم ، فهو يعقد باباً يعنونه"[٩]: (باب ذكر الأزداء من اليمن في الإسلام) [١٠] ثم يضيف قائلاً : ويروي المبرد عن علي أنه قال : "للأزد أربع ليست لحي : بذل لما ملكت أيديهم ، ومنع لحوزتهم ، وحي عمارة لا يحتاجون إلى غيرهم ، وشجعان لا يجبنون."[١]

عمد المبرد إلى الإكثار من أخبار الحكماء مع ذكر أقوالهم ؛وقد حرص على أن يكرر هذا الموضوع تحت عنوان (نبذ من أخبار الحكماء) على مسرى صفحات الكتاب . وفي مقدمة هؤلاء الحسن البصري ، وابن خارجة ، والأحنف بن قيس ، فضلاً عن حكماء آخرين كثيرين مغمورين .[٢]

يعتبر كتاب الكامل في اللغة والأدب مصدر أصيل لما أصاب الإسلام من فتن عاتية منذ سقوط الخليفة عثمان ، وتأجج الخلاف بين علي ومعاوية ، وموسوعة للأدب الذي عبر عن هذا الصراع؛ وخص الخوارج من بينهم بحديث مفصل في باب مستقل وعبر الأبواب الأخرى ، وأطنب في ذكر شأنهم وأخبارهم وفرقهم وأفسح لأدبهم مكاناً وسيعاً ؛حتى اتهم بالميل للخوارج لإطنابه في سيرتهم واعتداله في الحكم عليهم .[٣]

ويعلل أحمد أمين ذلك الإطناب ويرجعه لسببين فيقول : " ويختار ـ المبرد ـ الكلام في الخوارج ويطيل لسببين ـ على ما يظهر ـ الأول : فالمبرد يعارض الجاحظ وقد ذكر في كتابه الشعوبية . والشعوبية حركة أعجمية تناهض العرب . والخوارج أكثرهم عرب خلص لهم أدب عربي .

الثاني: الذي قاتل الخوارج المهلب بن أبي صفرة وبنوه وهو أزدي كالمبرد ، وكان يعاونه الأزديون قبيلة المبرد . فالإشارة بالتنكيل بالخوارج إشادة بقبيلته "[٤]

وفي هذا السبب ـ الثاني ـ إشارة خفية لما ذهب إليه أحمد أمين في السابق بتعصب المبرد لقبيلته .

والحق أن ميل المبرد كان إنسانياً وأدبياً؛ فللخوارج ألوان من البطولة الخارقة. وفي أدبهم من الصدق والقوة والجمال ما يثير الإعجاب . فأورد المبرد من تاريخهم ما يجعل من (الكامل في اللغة والأدب) أصح مرجع لكتابته . وقد شرح في البدء منهجه[٥] ، فقال : " وأخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفرداً لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف ، أو كلام من خطبة معروفة مختارة "[٦] ،وثم اعتذر في نهاية الكلام عما أطال من حديثهم فقال : " وهذا كتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ؛ولكن ربما اتصل شيء بشيء والحديث ذو شجون؛ ويقترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب ويصده عن سنته ، ويزيله عن طريقه "[٧]

ولا شك إن الكاتب وإن كان قد عاصر فئة أو كان عهده قريباً من عهدها ، تشده أخبارها ولا يملك إلا تدوينها . وأما إكثاره من أخبار أهله الأزديين فهو أمر طبيعي فهي

---

[٩] / أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٢٤٥
[١٠] / المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٥
[١] / المبرد ، الكامل ، ج ١ ، ص٤٤
[٢] / مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ص٢١٤
[٣] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص٢٢٤
[٤] / أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٢٤٥
[٥] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص٢٢٤
[٦] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٣٦
[٧] / المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٣١

أول ما يتلقى منذ الصغر ويعاصرها فتفرض نفسها عليه ، وصفه بالحياد في النص اللاحق شاهد له لا عليه .

كثيراً ما كان المبرد يحاول جذب انتباه السامع أو القاري لموضوعه؛ وذلك عن طريق الإشارة والتشويق أثناء عرضه لموضوع الدراسة .[1]

يقول مثلاً : " ومن حلو المراثي وحسن التأبين شعر ابن مناذر فإنه كان عالماً مقدماً شاعراً مفلقاً وخطيباً مصقعاً وفى دهر قريب فله في شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين... ــ ثم يورد هذه المرثية ويشرح بعض غريبها فيقول ــ :

كُلّ حيّ لاقى الحَمام فمُودِ ما لِحَيّ مُؤَمّلٍ منْ خُلودِ[2]

التزم المبرد موقف الإعتدال من الخصومات السياسية العنيفة التي شهدها عصره بين الفئات المتصارعة ، وبعد عن التحيُّز لأحد ، فلم يُضمن (الكامل في اللغة والأدب) شيئاً في ذم معاوية أو علي ؛ ولم يورد من رسائلهما ما يتضمن الذم وإذا أورد رسالة تضمنت من ذلك شيئاً أمسك عنه.[3]

أورد المبرد في كامله كتاباً وجهه معاوية إلى علي رضي الله عنه يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب . أما بعد ، فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برئ من دم عثمان .... وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتله عثمان ..... وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة.... ، ثم كتب إليه في آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل وهو :

أرى أهْلَ الشامِ تَكْره مَلِك العِراقِ وأهْلُ العِراقِ لهُمْ كَارهِيــنَا
وكُلاً لِصَاحِبه مُبْغِضــاً يَرَى كُلُّ ما كان منْ ذاكَ دِينا
إذا مَا رَمَوْنَـا رَمَيْناهُــمْ وَدِنَّاهُمُ مِثْلَ مـا يُقْرِضُونَـا

وأتبع المبرد ذلك بقوله : "وفي آخر هذا الشعر ذم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أمسكنا عن ذكره" [4]

والعجيب أن ابن أبي الحديد وهو شيعي ويتهم المبرد بالخارجية . ثم يورد جواب علي بن أبي طالب عن هذه الرسالة وصنع فيها ما صنع في رسالة معاوية من حذف ماراه غير لائق.[5]

بسم الله الرحمن الرحيم . من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر ، أما بعد . فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجاب وقاده فاتبعه ، زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان،.... وبعد فما أنت وعثمان ، إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه ، فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فأدخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلي...، ثم دعا النجاشي أحد بني الحارث بن كعب ، فقال له : إن ابن جعيل شاعر أهل الشام وأنت شاعر أهل العراق ، فأجب الرجل ، فقال: يا أمير المؤمنين أسمعني قوله ، قال: إذاً أسمعك شعر شاعر، فقال النجاشي يجيبه :

دعاً يا مُعَاويَ ما لَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ الله ما تَحْذَرونَا

[1] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٢٧
[2] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠
[3] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص٢٢٥
[4] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣
[5] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص ٢٢٦

أَتَاكُمْ عليٌّ بأَهْلِ العِـراقِ وأَهْلِ الحِجَازِ فمَا تَصْنَعُونَا

ويعقب على هذا بقوله : وبعد هذا ما نمسك عنه.[١]

يوشح المبرد كتابه بنكتة طريفة أو فكاهة مليحة بين الحين والحين؛ولعله كان يعمد إلى ذلك حتى يسري عن القارئ الذي ربما تساوره مشاعر الملل . والمبرد هنا متشبه بالجاحظ إما عمداً أو بدون قصد ... ويسوق المبرد طرائفه نثراً حيناً وشعراً حيناً آخر ؛ وبعض هذه الطرائف يرتبط ببعض الأعلام الكبار.[٢]ومن ذلك قوله :"وذكروا أن أبا القماقم بن بحر السقاء عشق جارية مدينية فبعث إليها إن أخواناً لي زاروني فابعثي لي برؤوس حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك . ففعلت ، فلما كان اليوم الثاني بعث إليها إن القوم مقيمون لم نفترق فابعثي إليَّ بقلية جزورية وبقرية قدية حتى نتغذاها ونصطبح على ذكرك . فلما كان اليوم الثالث بعث إليها إنا لم نفترق فابعثي إليَّ بسنبوسك حتى نصطبح اليوم على ذكرك . فقالت لرسوله : إني رأيت الحب يحل في القلب ويفيض إلى الكبد والأحشاء؛ وإن حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة ."[٣]

كما أن المبرد يأتي بالمواقف المتشابهة حتى يستطيع المستمع أن يعمل ذهنه وعقله ويقارن . ومن ذلك مثلاً ما أورده في مشكلة التحكيم ولحاج الخوارج ،[٤] وكان يقول : " والشيء بالشيء يذكر "[٥] ويقول : " وربما اتصل شيء بشيء والحديث ذو شجون. "[٦]

ويضم أيضاً الكتاب قدراً كبيراً من الآيات القرآنية الكريمة مفسرة تفسيراً واضحاً ، وكذلك عدداً كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة الإسناد. كما اهتم المبرد بالشعر والشعراء اهتماماً كثيراً ؛ فهو يورد الكثير من أخبار الشعراء ونماذج من أشعارهم؛ ويركز أحياناً على شاعر بعينه أو موضوع معين من موضوعات الشعر مجموعة حيناً ومفرقة حيناً آخر في أجزاء الكتاب .[٧]

يعنون المبرد كل بضع مختارات بكلمة (باب) ومن العسير في كثير من الأحيان أن يفرق القاري بين باب وآخر؛ويدرك أن هذا الباب وحدة مستقلة تجمع مختارات ذات صيغة خاصة تخالف ما في الباب الآخر ؛ اللهم إلا في القليل النادر ، حتى إنه كلمة (باب) يستعملها في معنى درس .[٨]

يتضح من كل ما ذكر أن المبرد لم يثقف إلا الثقافة العربية ويتضح ذلك في كتابه (الكامل في اللغة والأدب) فلم يعرض لغيرهم إلا قليلاً نادراً . لقد نقل عن بزر جمهر وأردشير ولكن في مواطن معدده ، وورد فيه كلام عن الموالي ولكن نظره إليهم نظر عربي ، وقص ما كان بين عبد الله بن عبد الأعلى وأليوت ملك الروم وقد أرسله عمر بن عبد العزيز إليه يدعوه إلى الإسلام . وقص ما كان بين الشعبي وملك الروم ، وقص ما كان من استئذان ملك الروم معاوية في أن يغلبه ، فبعث إليه ملك الروم برجلين أحدهما

---

[١] /المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢٢٥

[٢] / مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ص٢١٧

[٣] / المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص٢١٦

[٤] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٢٨

[٥] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٦٣

[٦] / المصدر السابق ، ج٣ ، ص٦٣

[٧] / مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ص٢١٤ ـ ٢١٥

[٨] / أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٢٤٣

طويل والآخر قوي جسيم... الخ ، ولكن هذه أمور لا تدل على ثقافة أجنبية لأنها حوادث متصلة بالمسلمين العرب وقد رواها المبرد كما نقلت إليه عن العرب.[1]

ومما سبق يتضح أن منهج المبرد لم يكن يسير على وتيرة واحدة أو خط مرسوم؛ بل كان يوسع في المادة ما استطاع فتأتي كأنها درس منوّع يأخذ من كلٍ بطرف...

أما عن مادة الكتاب فقد كانت منوعة تتضمن الشعر والنثر والأدب والتاريخ والمعاملات والأخلاق وكل ذلك في إطار اللغة كوسيلة وغاية وربما كان هذا هو السبب في تسمية كتابه بالكامل وأغلب الظن أن الشامل كان أكثر مناسبة لذلك.

المبحث الثالث: أثر كتاب الكامل في المتأخرين

[1] / أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٢٤٤ـ ٢٤٥

كتاب الكامل في اللغة والأدب اثر خالد من آثار المبرد ،ومعلمة كبيرة لمعارف اللغة العربية وعلومها وآدابها وهو يحتل مكانة ممتازة بين مؤلفات العلماء في عصر المبرد وفيما قبله وبعده من العصور. لعله يكون من خير ما كتب من هذا النوع في تاريخ الأدب العربي ،وقد ترك الكتاب تأثيراً فوق المتصور في لغة العرب شرقاً وغرباً.

لقي (الكامل في اللغة والأدب) تقديراً كبيراً من العلماء . وقد بالغ العلماء في الإقبال عليه والعناية به رواية ،وقراءة،ودراسة،وشرحاً، ونقداً، وتعليقاً، وتهذيباً، واحتذاه بعضهم في تأليفه . فألف إبراهيم بن ماهويه الفارسي كتاباً عارض به المبرد في كامله[١]؛ وألف محمد بن جعفر ،أبو الفتح المراعي (ت٣٧١ هـ) له كتاب صنفه وسماه كتاب (البهجة) علي مثال (الكامل في اللغة والأدب) للمبرد.[٢]

واهتم آخرون بتتبع سقطاته وأغاليطه؛ فألف أبو القاسم علي بن حمزة (ت٣٧٥هـ) كتابه(التنبيهات على أغاليط الرواة) الذي يعتبر من أغلى الآثار الأدبية الباقية التي ظهرت بسبب (الكامل في اللغة والأدب) للمبرد في الأزمنة القديمة المختلفة ؛ وقد نبه فيه على الأخطاء الواردة في عدد من مؤلفات عصره من بينها كتاب (النبات) لأبي عبيد القاسم بن سلام ، و(إصلاح المنطق) لابن السكيت ، و(الفصيح) لأبي العباس ثعلب ، و(المقصور والممدود) لابن ولاد المصري.[٣]

وما كتبه عن هذه الكتب الخمسة نشره الأستاذ الميمني مع المنقوص والممدود للفراء من القاهرة (١٩٦٦م) ، قال أبو القاسم علي بن حمزة : " كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة في كتب اللغة والمصنفات ؛ لم نعدل فيه عن سبيلهم ، ولم نجره عن سننهم في رد بعضهم على بعض الغلط ، وأخذ أحدهم على صاحبه السقط ؛ يتراسلون في ذلك بالرسائل ، ويتشاغبون به في المحافل ، ويتساءلون فيها عن المسائل ، ونحن نذكر من ذلك ما يستدل به الناظر في كتابنا إنا بهم اقتدينا وعلى أمثلتهم احتذينا ."[٤] ويقول محمد عبد الخالق عضيمة في مقدمة كتاب المقتضب : " وقد أخذ على المبرد في (الكامل) ما عده أخطاء فنقد ابن حمزة للكامل يدور حول هذه الأمور :ـ

نقد في تفسير بعض الكلمات اللغوية	ويبلغ ٤٥
نقد في رواية الشعر	ويبلغ ٢٧
نقد تاريخي وما يتصل به	ويبلغ ١٧
نقد في شرح بعض الأبيات ومعانيها	ويبلغ ١٥
نقد ومؤاخذتان في نسبة الشعر لقائله	ويبلغ ٢
نقد وثلاث مؤاخذات نحوية	بلغ ٣ [٥]

وختم ابن حمزة تنبيهاته عن الكامل بقوله : " هذا آخر ما أخذناه على أبي العباس مما لا عذر فيه ، وقد سامحناه في كثير من الأغلاط وقد أخذ الناس على أبي العباس قبلنا في هذا الكتاب وفي غيره ، فمنهم مخطئ ومنهم مصيب فمن أخذ عليه في هذا فأصاب أبو جعفر بن النحاس ؛ وممن أخذ عليه فأصاب وأخطأ الأخفش "[١].

---

[١] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الدب ن ص٢٣١

[٢] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٣ ، ص٨٣

[٣] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص٢٣١

[٤] / علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة ((ومعه المنقوص والممدود للفراء)) ،تح عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٦٦م ، ص٧٩

[٥] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٦١

[١] / علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة ، ص٧٢

وقد رد محمد عبد الخالق عضيمة في مقدمة المقتضب على مؤاخذات ابن حمزة ويقول : " ومؤاخذات ابن حمزة النحوية واهية وسنرد عليها "[٢].

روى المبرد هذا البيت:

إِنَّ الذين يَسُوغُ في أَعْناقِهم زادٌ يُمَنُّ عليهمُ، لِلِئامُ *

ثم قال : " وروى الفراء هذا الشعر (إن الذين يسوغ في أحلاقهم) وإنما كان ينبغي أن يكون في أحلقهم ، كقولك فلس وأفلس وما أشبهه ، ولكنه شبه باب فـَعْل بباب فـَعَل كما قالوا: زند وأزناد ، وفرخ وأفراخ "[٣]

فنقده ابن حمزة بقوله " وقد أساء أبو العباس في هذا القول ؛ على أنه إنما اتبع أبا بشر عمر بن عثمان سيبويه بأن جمع فـَعَل على أفعال ما عدا الستة الأحرف التي شرطها وقد جاء عن العرب الفصحاء غيرها فمن ذلك : كهف وأكهاف ، وكف وأكفاف ، ثلج و أثلاج ، وقد قالوا : شيء زائد على كذا وزيدُ على كذا ؛ ثم جمعوا زيداً على أزياد ، وجمعوا عيناً على أعيان ، وقيناً على أقيان ، ودين على أديان وبيت على أبيات ، وطيراً على أطيار... "[٤]

ورد عضيمة على ابن حمزة في مقدمة المقتضب بقوله :" فخلط ابن حمزة بين فَعْل صحيح العين ومعتله؛والمبرد إنما يقصد صحيح العين وقد فعل ذلك في المقتضب. "[٥]

قال المبرد في الكامل:" والفعيلى إنما تستعمل في الكثرة. يقال القتيبى لكثرة النميمة ؛ ويقال الهجيرى لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل...ويقال كان بينهم رمياً لكثرة الرمي وكذلك كل ما أشبه هذا. "[٦]

نقده علي بن حمزة بقوله :ـ " وما كل ما أشبه ماحكاه جاء للتكثير؛ وقد قالوا : فلانة خطب فلان وخطيبها الذي يخطبها ؛ وقال عمر بن الخطاب : (لو استطعت الآذان مع الخليفى لأذنت. "[٧]

ورد عضيمة على ذلك في مقدمة المقتضب بقوله :ـ "وكلام المبرد صريح في أنه يريد بكل ما أشبه هذا ما جاء من المصادر على فعيلى فهو يفيد التكثير . فاعتراض ابن حمزة عليه بخطيب للمرأة التي تخطب ليس في محله ولا يقصده المبرد ... وقد جاءت الخطيبى مصدراً أيضاً كما في لسان العرب والقاموس. والخليفى في كلام سيدنا عمر مصدر أريد به المبالغة ."[٨]

قال سيبويه : " والخليفى كثرة شاغله بالخلافة وامتداد أيامه فيها. "[١]

قال المبرد في قول الفرزدق :ـ

وَإذا الرِّجالُ رَأوا يَزيدَ رأيْتَهُمْ خُضُعَ الرِّقابِ نَوَاكِسَ الأبْصَار[٢]

يقول المبرد : " وفي هذا البيت شيء يستطرفه النحويون وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث .... ولم يأت ذلك إلا في حرفين أحدهما في جمع

---

[٢] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٦١

* قائل البيت مجهول وقد ورد ذكره في الكامل ،ج١ ،ص٤٦ ، وفي التنبيهات على أغاليط الرواة ، ص ٩٧

[٣] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٤٦

[٤] / علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة ، ص٩٧ـ٩٨

[٥] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٦٢

[٦] / المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص١٣٦

[٧] / علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة ، ص١٤٥

[٨] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٦٢

[١] / سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ،ص٢٢٨

[٢] / علي فاعور ، شرح ديوان الفرزدق ، ص٢٦٦

فارس فوارس ؛ ويقولون في المثل هو هالك في الهوالك . ولا يكون مثل هذا إلا في الضرورة "[٣]

استدرك ابن حمزة على المبرد قوله السابق عن جمع فاعل وصف العاقل على فواعل فيقول : " وقد كان وهو ـ المبرد ـ في غفلة قد جاء طائح في الطوائح كما قالوا ك هلك في الهوالك ، يقول الشاعر(نهشل بن حري)[٤] :ـ

لِيُبْكَ يَزِيدُ بائِسٌ لِضَرَاعَةٍ وأشْعَثُ ممَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ"[٥]

أما رد ابن حمزة على المبرد في رواية الشعر فاكتفى منه بمثال واحد :

روى المبرد هذا البيت وهو لمطرود بن كعب الخزاعي في الكامل بهذه الرواية :ـ

عَمْرو الذي هَشَم الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مُسْنتُونَ عِجَاف [٦]

فنقده علي بن حمزة بقوله : " والرواية : عمر العُلى ، وتغيير مثل هذا المشهور قبيح جداً وعمرو العلى هاشم . وما ينبغي لعاقل من المسلمين أن يجهل هذا البيت ، وفيمن قيل ، وكيف روايته ؟ "[٧]

ويرد محمد عضيمة على ابن حمزة بقوله : "وردي على هذا بأن المبرد روى هذا البيت بالروايتين في الجزء الثاني من المقتضب في باب الصفة التي تجعل ما قبلها بمنزلة شيء واحد ، والمقتضب سبق الكامل في التأليف فاقتصر على إحدى الروايتين في الكامل ولم يجهل الرواية الأخرى ؛ كما زعم علي بن حمزة "[٨]

واهتم آخرون بكتاب الكامل وشرحه؛ ومن الذين اهتموا بشرحه : القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الوقشي (ت٤٨٩هـ) وقد ذكر هذا الشرح في بعض الكتب القديمة وهي (معجم الأدباء)، و(بغية الوعاة) وسمى شرحه (نكت الكامل) ولم يصل هذا الكتاب في العصر الحديث ؛ وتردد ذكره في كتاب (خزانة الأدب)[٩]

(وقد عني أبو الوليد الوقشي في نكته على الكامل وشرحه له بهذه الموضوعات :ـ

١/ أسماء الرجال وأنساب الأعيان وتراجمهم.

٢/ الأخبار والمغازي والتاريخ.

٣/ الحديث النبوي كغريبه وطرق روايته أو معانيه وشرحه.

٤/ المسائل الفقهية ، والعقائد الدينية.

٥/ معاني الأبيات التي أوردها المبرد ، أو صلتها بالقصائد ، وذلك قليل نادر.

٦/ اللغة وغريبها أو اشتقاق الكلمات موادها أو أوزانها مفرداً وجمعاً.)[١]

وممن شرح الكامل ابن السيد البطليوسي : عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي (ت٥٢١هـ)[٢]. ولم يذكره أحد من علماء التراجم ؛ ولكن البغدادي ذكره في خزانة

---

[٣] / المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص٤٩

[٤] / الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير) ، تفسير الطبري ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ، ج١٤ ص٤٤

[٥] / علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة ، ص١٣٢

[٦] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص١٧١

[٧] / علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة ، ص١١٧

[٨] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٦٣

[٩] / الظاهر أحمد مكي ، قضايا النقد الأدبي ، ص٢٣٢

[١] / ابن سعد الخير ، القرط على الكامل ، To PDF : htt :// www.al-mostafa.com ، ص٨٩

[٢] / القفطي ، أنباه الرواة ، ج٢ ، ص١٤١

الأدب أكثر من مرة ومن ذلك قوله : " وكذلك لم يصب ابن السيد في قوله (فيما كتبه على كامل المبرد).... "[٣]

وذكر الحاج خليفة في كشف الظنون أن محمد بن اليوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم أبو الطاهر التميمي المازني السرقسطي (٥٣٨هـ) كان قد شرح الكامل للمبرد ؛ ولكن لم يعثر على الشرح . كما عرف عن هذا الرجل أنه كان يشتغل بتدريس الكامل ويشرحه للطلاب الوافدين عليه ، فقد ذكر أبو جعفر أحمد عبد الرحمن المعروف بابن مضاء (ت٥٩٢هـ) أنه تتلمذ عليه ، وأخذ عنه علوم العربية واعتمد عليه في تفسير الكامل للمبرد لرسوخه في اللغة.[٤]

وفي نهاية القرن السابع الهجري أحس أمير مغربي هو أبو زكريا بن أبي محمد بن أبي جعفر بما في مادة الكتاب من فوضى فعهد إلى علماء مغاربة أو عالم بترتيب مادة الكتاب وتحريره وتهذيبه ؛ فجعلوه في أربعين باب ، وفرغ من نسخه وتحريره في أواخر شهر محرم سنة (٦٤٦هـ) وسمي (بغية الآمل في ترتيب الكامل) وهو كتاب لم يطبع ؛ ومنه مخطوطتان كاملتان محفوظتان في خزانة اقصر الملكي بالرباط أولاهما تحت رقم ٢٤٨٦ والأخرى تحت رقم ٥١٦٣ .[٥]

وفي العصر الحديث شرحه سيد بن علي المرصفي حيث ألقى شروحه دروساً في الأزهر في مطلع القرن الماضي عندما اصطفاه الإمام محمد عبده للتدريس فيه؛ ثم نشر شروحه في كتاب أسماه (رغبة الآمل من كتاب الكامل) وقد وجد أن أبا العباس كثيراً ما يعتمد في لفظه على جودة حفظه . فربما نزع في غير قوسه ؛ فزاغ عن القصد سهمه ، أو صعد في الأدب مرتقى زلت به إلى الحضيض قدمه ؛ فأبان فيه المبرد عن سنن الصواب من خطأ الرواية أواللغة أو التاريخ . وإذا ذكر أبو العباس شاهداً من شعر العرب ، أورد المرصفي القصيدة كاملة مع ضبط كلماتها وبيان مبهماتها [٦]، كما كان للشيخ المرصفي نقد على الكامل ، ودار هذا النقد على هذه النواحي كما أورده عضيمة في مقدمة المقتضب :ـ

١/ نقد لغوي ويبلغ ٦٠ أخذ من ابن حمزة ٢٢
٢/ نقد في الرواية ويبلغ ٩٠ أخذ من ابن حمزة ١٥
٣/ نقد تاريخي ويبلغ٩٠ أخذ من ابن حمزة ٦
٤/ نقد في شرح الشعر ويبلغ ٢٠ أخذ من ابن حمزة ٣
٥/ نقد في نسبة الشعر ويبلغ ٢٥
٦/ مؤاخذتان نحويتان)[١]منها :ـ

قال المبرد :"فإن قال قائل : فما بال يطأ ، ويسع حذفت منها الواو ومثلها ثبتت فيه الواو فإنما ذلك لأنه كان يفعل مثل ولى يلي وورم يورم ، ففتحته الهمزة والعين والأصل الكسر فإنما حذفت الواو مما يلزم في الأصل ألا ترى أنك تقول : ولغ السبغ يلغ فهذا يفـَعُل والأصل يفعِل ولكن فتحت الغين لأن حروف الحلق تفتح ما كان يفعُل ويفعِل "[٢]

---

[٣] / البغدادي ، خزانة الأدب ، ج٦ ، ص٣٤٣
[٤] / حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تح محمد شرف الدين ، دار إحياء التراث العربي ، دون م ن ، دون ط ، دون تر ، ج٢ ، ص٤٧٠
[٥] / الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، ص٢٣٣
[٦] / المرجع السابق ، ص٢٣٣
[١] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٦٣
[٢] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٦٢

علق الشيخ المرصفي على يفعُل بضم العين بقوله : " زيادة من أبي العباس ليته حذفها . قال سيبويه : تقول وعدته فأنا أعده وعداً . ثم قال : ولا يجئ في هذا الباب يفعُل بضم العين وقد قال أناس من العرب وجَد يجُد وهذا لا يكاد يوجد "[٣]

ويرد عضيمة على نقد المرصفي ـ في مقدمة المقتضب ـ قائلاً : " وقد وهم الشيخ المرصفي فيما أخذه على المبرد هنا . فالمبرد يريد بقوله : " لأن حروف الحلق تفتح ما كان على يفعُل ويفعِل " أن يذكر قاعدة حروف الحلق ؛ وهي أنها تفتح عين المضارع من فعل سواء أكان المضارع على يفعِل أم يفعُل ، وليس غرضه أن يقول إن المثال الواوي الفاء من (فَعَل) يأتي مضارعه على (يفْعُل) حتى يرد عليه بكلام سيبويه ولو رجعنا إلى المقتضب لوجدنا المبرد ردد كلام سيبويه هناك ووافقه ولم يخالفه "[٤]

إضافة إلى ما سبق هناك بعض الحواشي على كتاب الكامل وقد ذكر الأستاذ الميمني في هامش التنبيهات إحداها فقال : " وفي الكامل حاشية لابن السراج الأندلسي أبي مروان (الحسن والحسين جبلا رمل) "[٥] ولم تذكر الكتب التي ترجمت لابن السراج الأندلسي شيئاً عن هذه الحاشية .

وأخيراً هذب الكامل ورتبه على فصول وأبواب حسب المادة ، الموضوع الأستاذ السباعي بيومي المتخرج من دار العلوم في جزأين . الجزء الأول يختص بالاختيارات النثرية ، والثاني يشتمل على الشعر المختار من الكامل وقد ظهرت الطبعة الأولى من الكتاب في القاهرة سنة [١٣٤١هـ ـ ١٩٢٣م] . وقد ذكر الدكتور طه حسين ذلك في كتابه حديث الأربعاء حيث قال : " وقد رأى الأستاذ السباعي بيومي أن هذا الكتاب مضطرب في ترتيبه مخالف لنظامنا العقلي ؛ فمسخه ليلائم عقلنا الجديد . والحق أن السباعي لم يتناول كتاب الكامل بالحذف والبتر ؛ وإنما رتب الكتاب ترتيباً جديداً فجمع الأشياء إلى نظائرها . ثم ظهرت هناك أشياء لا يمكن أن ينالها الترتيب لأن المؤلف أراد أن تكون كذلك . مثال هذا باب وضعه المبرد وعنوانه : (باب يذكر فيه من كل شيء شيئاً) فلم يستطع إلا إن يجمع كل هذه الأشياء التي لا تقبل الترتيب في قسم واحد وسماه ذيلاً ولكن أبا العباس لم يضع هذه الأبواب لتكون ذيلاً لكتابه . فما أراد

الأستاذ المهذب إلا إن يكون كتاب الكامل للمبرد ملائماً للذوق الحديث."[١]

ومن ذلك الترتيب (باب التشبيه والوصف) فيقول السباعي : " عاشراً خاتمة أبي العباس لما أتى به في باب التشبيه " ثم يعلق في الهامش ويقول : " إنما أتينا بالخاتمة وفي الباب بقية لتكون فاصلاً بين ما أتى به أبو العباس من التشبيه والوصف في الباب الذي عقده لذلك في الكتاب بعد ترتيبه وتهذيبه وبين ما ضممناه إليه من سائره "[٢]

ويعود الدكتور طه حسين ليعلق على هذه الشروح والتهذيبات التي قام بها المحدثون على مؤلفات القدماء فيقول : " وبقيت مسألة عظيمة الخطر يجب أن ألفت إليها رجال الأدب والتأليف عامة؛ وهي أنهم يجدون في كتب القدماء ألواناً من الضعف والنقص والاختلاط وسوء الترتيب ؛فيخيل إليهم أنهم يحسنون هؤلاء القدماء بإصلاح ما في كتبهم

---

[٣] / سيد علي المرصفي ، رغبة الآمل من كتاب الكامل ، مطبعة النهضة ، مصر ، ط١ ، ١٣٤٧هـ ـ١٩٢٩م ، ج٢ ، ص١١٨

[٤] / المبرد ، المقتضب ، ج١ ، ص٦٤

[٥] / علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة ، ص١١٦

[١] / طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، دون تر ، ج٣ ـ ص٦٥

[٢] / السباعي بيومي ، تهذيب الكامل في اللغة والأدب ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٣م ، ج٢ ، ص٤٥

من عيب. وهذا حق فهم يحسنون إلى القدماء وإلى المحدثين أيضاً ولكنهم يسيئون إلي القدماء حين يضطرهم هذا التهذيب والإصلاح إلى التغيير والتبديل والمسخ والتشويه "[٣]

أما الأسباب التي وقعت من أجلها الأخطاء والأغلاط في كتاب الكامل والتي أشار لها كل من ابن حمزة والمرصفي وغيرهما ممن تناول الكتاب بالشرح والتهذيب فيمكن إجمالها في ثلاثة أسباب . وقد يحتمل أن تكون صحيحة لكل من قرأ كتاب الكامل بروية ؛وقد تختلف الآراء في ذلك ،والأسباب هي:-

السبب الأول هو أن الأخطاء التي وقعت في الكامل لم يكن المبرد مسؤولاً عنها وإنما ترجع مسؤوليتها إلي المآخذ التي عول عليها المؤلف، والروايات القديمة التي كانت سائدة على اللغة العربية وآدابها سائرة على ألسنة علمائها ورواتها في عصر المبرد وقبله؛ فهو برئ من ذلك كله .والمتصفح لهذه المآخذ والروايات يرى أنها قد وقع فيها كثير من التعارض والخلافات ...وكل مافعله المبرد هو أنه اختار من بين هذه الروايات المختلفة والأقوال المتعارضة ماصح عنده ،فيمكن أن يؤخذ على المبرد في اختياره ولا يجوز أن يحمل مسؤولية ذلك كله ...

والسبب الثاني ،هو ماأصيب به الكتاب بعد موت مؤلفه على أيدي النقلة والرواة والناسخين والكتاب . وأكد ذلك القول الأستاذ الميمني في مقدمة كتاب التنبيهات فيقول "وأجزاء الكتاب ثمانية أسقطت منها الثلاثة الأولى ،لأن هذه الكتب ضاعت فيما أبادته يد الحدثان ،فدخلت في خبر كان"[٤]

ويقول كذلك :"وقد فطنت بالتأمل لكلامه على غلط توارثه الخلف عن السلف يوجد في عامة نسخ الكامل ولاسيما الأندلسية الأصل منها"[٥]،إضافة إلى ذلك مايوجد من اختلاف هائل في نسخ الكامل في هوامش طبعاته .

والسبب الثالث هو أن المبرد قد أخطا إما لغفلته أو لضعف ذاكرته في أخريات عمره

وحدث ذلك في رواية الشعر وسرد الأخبار والحوادث التاريخية.[١]

ولا شك أن المؤلف لم يقصد بذلك الشواهد في ذاتها ؛ بل أراد بها الاستشهاد لصحة ما ذهب إليه وسريانها بتلك الصورة يكسبها الصحة لوجودها في عصر لم تخرج فيه اللغة عن ثوب الصحة. أما في مجال النسبة والصحة فهذه ليست قاصرة علي كاتبنا فحسب بل كانت مشكلة العصر قاطبة.

---

[٣] / طه حسين ، حديث الأربعاء ، ج٣ ،ص٧١

[٤] /علي بن حمزة –التنبيهات علي أغاليط الرواة- ص٧٠

[٥] / المرجع السابق ، ص٧١

[١] / ابن سعد الخير ، القرط على الكامل ، ص ٨٥

المبحث الأول: جهود المبرد في علم البديع والبيان والمعاني

لم يقصد المبرد في تأليفه (الكامل) أن يتحدث عن أصول البلاغة الغربية.[1] ومع ذلك فقد قدم للدرس البلاغي منهجاً قويماً ، فقد ارتبط مفهوم البلاغة في ذهنه واعتباره بحقائق يجب أن يبررها النص . وهي فصاحة اللفظ ،وقرب مأخذه ووضوح المعنى ،والبعد عن الهجنة، مع عذوبة الكلام وتخلصه ،من التكلف وسلامته من التزيد. فالملاحظ أن اللفظ والمعنى عند المبرد يمثلان جوهراً مهماً في الكلام وشروط فصاحته.[2]

ويظهر ذلك في عرضه لرأي العتابي فيقول :" قيل للعتابي: ما أقرب البلاغة ؟ قال : ألا تؤتي السامع من سوء إفهام ، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع."[3] وكذلك يظهر المبرد رأيه عندما سئل عن البلاغة فقد حدد معنى البلاغة بقوله:"إن حق البلاغة إحاطة

[1] / محمد بركات حمدي أبو علي ، فصول في البلاغة ، دار الفكر ، عمان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، ص٩٩

[2] /أحمد السيد الصاوي ، مفهوم الاستعارة (في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين)، دار الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، دون ط ، دون تر ، ص٣٤

[3] / المبرد ، الكامل ، ج٤ ، ص١٢٧

القول بالمعنى ،واختيار الكلام ، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها ، وأن يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول ."[٤] هذا القول أقرب دليل على اهتمام المبرد باللفظ والمعنى. ولذلك كان في تحليله للنص الأدبي يحرص دائماً على الكشف عنه وعن مساراته المختلفة وأيهما أقرب للتصور العقلي. ولعل هذا المنهج في درسه البلاغي انطبع كثيراً على معالجته لأبوابه.[٥]

إضافة إلى ذلك فقد تناول المبرد بعض الأساليب البلاغية. والتي كان لها شأنها في تاريخ البلاغة فكان لابد من تناولها بشيء من التفصيل...

لاحظ المبرد أن في العبارة البلاغية فروقاً طفيفة تخفى على الخاصة فضلاً عن العامة فوضَّح الفرق بينها وجعل لكل عبارة منها موضعاً لا يصح فيه الآخر فمن ذلك ما رواه الجرجاني عن ابن الإنباري أنه قال : ركب المتفلسف الكندي إلى أبي العباس وقال له : " إني لأجد من كلام العرب حشواً : فهم يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال المبرد : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وقولهم إن عبد الله قائم ، جواب عن سؤال سائل ، وقولهم إن عبد الله لقائم ، جواب عن إنكار منكر قيامه فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني " ويعقب الجرجاني بقوله : " وإذا كان الكندي يذهب هذا عليه حتى يركب فيه ركوب مستفهم أو معترض فما ظنك بالعامة ومن هو في عداد العامة ممن لا يخطر شبه هذا بباله".[٦]

وقد وضَّح عبد القاهر الجرجاني ما قاله المبرد في باب اللفظ والنظم ... على أن إجابة المبرد هذه قد كانت سبباً في إضافة فصل جديد في علم المعاني وهو أضرب الخبر : فالجواب يكون خالياً من التوكيد كما في الحالة الأولى ، إذا كان السائل خالي الذهن عن الحكم ويسمى هذا الضرب ابتدائياً ، وفي الحلة الثانية يحسن توكيد الحكم ، إذا كان السائل يساوره الشك أو التردد ، ويسمى هذا الضرب طلبياً ، وفي الحالة الثالثة يجب توكيد الحكم توكيداً مبالغاً فيه ، لأن السائل منكر للحكم من أساسه ويسمى هذا الضرب إنكارياً ، وبذلك يكون المبرد قد أضاف إلى علم المعاني إضافة جديدة لم يسبق إليها. [١]

أما الكناية عند المبرد فقد اهتم بها الدارسون نظراً لأنه قسمها غلى أقسام ثلاثة وهذا التقسيم لم يعرف عند أحد من السابقين .[٢]

عرض أبو العباس الكناية في مواضع من كتابه (الكامل) فقال : " والكلام يجري على ضروب فمنه ... الوصف " ثم نبه على الحقيقة في الكلام الذي يكون في الأصل لنفسه ، على حد تعبيره فقابلها بما يكنى عنه بغيره ، وبالاستعارة التي سماها (مثلاً) قال : "إن هذا يكون أبلغ الوصف " ثم قال : والكناية تقع على ثلاثة أضرب أحدهما للتعمية والتغطية كقول الشاعر :

أَكَنَّى بغَيْر اسْمِها وقَدْ عَلمَ الله خَفِيَّات كُلِّ مُكْتَتِم*

وقال ذو الرمة استراحة إلى التصريح من الكناية :

---

[٤] / المبرد ، البلاغة ، ص٨١

[٥] / أحمد عبد السيد الصاوي ، مفهوم الاستعارة ، ص٣٤

[٦] / عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، صححه محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م ، ص ٢٤٢

[١] / عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب ، القاهرة ، دون ط ، ٢٠٠١م ، ص٦١

[٢] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٢٧

* /البيت غير موجود في الديوان وقد ذكره المبرد في الكامل ، ج٢ ، ص٢٠٩

أُحِبُ المَكانَ القَفرَ مِن أَجلِ أَنَني بِهِ أَتَغَنى بِاسمِها غَيرَ مُعجَمِ [٣]

وقد ذكر ابن قتيبة هذا النوع من الكناية فقال : إن الدافع إلى الكناية هو الخوف من إظهار الاسم ، ولذلك تشتد الحاجة إلى الخفاء والعمل على المداجاة .[٤]

(الثاني : ويكون من الكناية وهو أحسنها : الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره . قال تعالى :{ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ...} [٥] فهذا كناية عن الجماع ، وقال تعالى : {أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاء... } [٦] والملامسة في قول أهل المدينة غير كناية ، إنما هو اللمس بعينه ، يقولون في الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة : إن وضوءه قد نقض ، وكذلك قولهم في قضاء الحاجة : جاء فلان من الغائط ، وإنما الغائط الوادي ، وقال تعالى : { كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ... } [٧] كناية بإجماع عن قضاء الحاجة لأن كل من أكل الطعام في الدنيا أنجى ، وقال تعالى : { وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا.... } [٨] وإنما هي الكناية عن الفروج وهذا كثير)[٩]

والضرب الثالث من الكناية : التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو أن يعظم الرجل أن لا يدعى باسمه ـ وقد قسمها المبرد إلى قسمين ـ ما وقعت في الصبي على جهة التفاؤل ، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه)[١٠]

وقد أورد عبد القادر حسين لكل ضرب عنواناً ، فقال : " الضرب الأول الذي جاء للتعمية والتغطية إنما هو نوع من الكناية اللغوية ، والضرب الثاني نلحظ فيه العدول عن اللفظ الخسيس إلى غيره مما يدل على معناه وإنما هو من الكناية الاصطلاحية ، أما الضرب الثالث الذي اشتقت منه الكنية فهو من باب التسمية "[١]

(والملاحظ أن المبرد لم يذكر من أنواع الكناية التي يديرها المتأخرون في كتبهم إلا النوع الثاني ، والذي اعتبروه أحسن أنواع الكناية ، أشارت أمثلته إلى نوعين من أنواع الكناية الثلاث عند المتأخرين :الكناية عن ذات ، الكناية عن صفة)[٢]

والمبرد عند حديثه عن الكناية قال : "والكلام يجري على ضروب فمنه ما يكون في الأصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ، ومنه ما يقع مثلاً فيكون أبلغ في الوصف "[٣]، وهذا نص يشير فيه إلى ثلاثة أنواع من الكلام : الحقيقة ، والكناية ، والمثل ، والأرجح أنه يقصد به الاستعارة ، لأنه ذكر المثل في موضع آخر مقروناً بشاهده ، فقد علق على بيتين للقطامي اعتبر ما فيها من الاتساع في الفصاحة لا في المعنى ، وهما:ـ

لم تَلْقَ قوماً هُمُ شَرٌّ لأخوانِهم منا عَشيَّةَ يجري بالدَّمِ الوادي
نَقريهُمُ لهذمياتٍ نَقُــدُّ بها ما كان خاط عليهم كُلُّ زَرَّادِ [٤]

---

[٣] / غيلان بن عقبة ذي الرمة ، ديوان ذي الرمة ، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ، ص٢٧٦

[٤] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٢٨

[٥] /البقرة الآية ١٨٧

[٦] /النساء الآية ٤٢

[٧] /المائدة الآية ٧٥

[٨]/ فصلت الآية ٢١

[٩] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢١٠

[١٠] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٠

[١] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٢٨

[٢] / علي محمد حسن العماري ، قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩م ، ص٢٥٦

[٣] / المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٠٩

[٤] / القطامي (عمير بن شُييم بن عمر بن عباد)، ديوان القطامي ، تح إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٠م ، ص٩٨ـ٩٠

قال : " لأن الخياطة تضم خرق القميص ، والزرد يضم حلق الدرع ، فضربه مثلاً فجعله خياطة "[٥]

والملاحظ هنا أمرين :ـ

الأول : إنه سمى هذا النوع مثلاً وهذا متابعة منه للجاحظ

الثاني : جعل هذا الاتساع في الفصاحة لا في المعنى ، أي أنه كان يعتبر الاستعارة من فصاحة اللفظ .[٦]

ويقول عبد الواحد حسن :" إن المبرد تناول الاستعارة كما تناولها البلاغيون ويظهر ذلك من الأمثلة التي تناولها أو قدمها استنتجنا هذا ، والدليل على ذلك تعريفه هو للاستعارة فنراه عندما علق على هذا البيت :ـ

يَا نُعْمَهَا لَيْلَـة ً حَتَّـى تَخَوَّنَهَـا داعٍ دعا في فروعِ الصّبحِ شحّـاجِ

يقول : " وقوله شحاج إنما هو استعارة في شدة الصوت ، وأصله للبغل والعرب تستعير من بعض لبعض "[٧]ولعل هذا يوضح صدق قولنا في أن المبرد فهم الاستعارة على أنها استخدام كلمة في غير موضعها لعلاقة المشابهة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي. "[٨]

والحقيقة أن نظرة المبرد للاستعارة نظرة غير محدودة من حيث إنه لم يعدها من البديع أو البيان ، وإنما أراد أن ألفاظاً و عبارات أو أبياتاً اجتازت معناها وموضعها الأصلي ، واستعملت في معنى أو موضع آخر ، أما عن العلاقة بين المعنيين ، فلا يشير إليها المبرد ، كما لم يبين الغرض الذي من أجله يتم هذا النقل في الاستعارة.[١]

تناول المبرد المجاز على الطريقة التي تعني التأويل والتفسير فيما تعنيه ، ومن ذلك قوله : " وقوله يا طعام الأحلام ، فمجاز الطعام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده ثم يستشهد بقول الشاعر:ـ

إذا ما كان مثلهم رجاماً فما فضل اللبيب على الطعام* "[٢]

إلى أن ينتهي على أن معنى كلمة الطعام عند العرب هو الغر الطائش .[٣]

وربما هذا وشبيهه هو الذي دفعه إلى أن يخوض في لون آخر من المجاز ، ذكره في آخر الكتاب ، وهو مجاز الحذف فيضرب لذلك الأمثلة منها : (في قوله تعالى : { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [٤] ، فقد حذف في هذه الآية المفعول الأول والتقدير يخوفكم من أوليائه ، وأيضاً قوله تعالى : { فمن شهد منكم الشهر فليصمه} [٥] ، والشهر لا يغيب عنه أحد ، ومجاز الآية فمن كان منكم شاهداً بلده في الشهر فليصمه، والتقدير : أي فمن كان شاهداً في شهر رمضان نصب الظروف لا نصب المفعول به .[٦]

---

[٥] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٤٦

[٦] / علي محمد حسن العماري ، قضية اللفظ والمعنى ، ص٢٥٨

[٧] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص١٩٤

[٨] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤١

[١] / أحمد السيد الصاوي ، مفهوم الاستعارة ،ص٣٦-٣٧

* قائل البيت مجهول وقد أورده المبرد في الكامل ،ج١ ، ص٢١

[٢] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١

[٣] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٣٣

[٤] آل عمران الآية ١٧٥

[٥] البقرة الآية ١٨٥

[٦] / المبرد ، الكامل ، ج٤ ، ص١٢٧

تناول المبرد المجاز بنوعيه العقلي والمرسل ، وتناول المرسل وكان فيه أستاذاً لمن جاء بعده رغم أنه لم يوضح أحياناً علاقاته إلا إنه استطاع أن يشرحه بطريقة تعين على فهم المقصود من أمثلته : (يقال لفلان عليك يد ، ولفلان عليك إصبع . وكل هذا جيد وإنما يعني ههنا النعمة)[٧]، يشير إلى قول الشاعر : ـ

حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بالوَفاءِ، ولم تَكُنْ للغَدْرِ خائِنةً مُغِلَّ الإصْبَعِ *

قال : وموضعها ههنا موضع اليد)[٨]

وقال الراجز:ـ

أَقْبَلَ في المُسْتَنْ مِنْ رَبَابهْ أَسْنِمَةُ الآبَالِ في سَحَابِهْ **

أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الإبل فتصير شحومها في أسنمتها ، وقال تعالى : { وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ....[٩] أي أعصر عنباً فيصير إلى هذه الحالة .[١٠]

وقد يقال إن مثل هذه الأمثلة يرد في كل كتاب ، وإن لم يقصد صاحبه إلى هذا النوع أو ذاك والجواب أن ورود أمثلة في موضع واحد ، على نوع واحد ، دليل على أن المؤلف ـ المبرد ـ أدرك في كلام العرب نوعاً يتردد ، فهو يعرفه وإن لم يسمه باسمه الاصطلاحي .[١]

أما المجاز العقلي فقد جاء أول مثال له ، نبه عليه المبرد في قول أبي بكر الهزلي يصف الشاعر تأبط شراً: ـ

ممَّا حَمَلْن به وهنَّ عَواقِدٌ حُبُكَ الثِّيابِ فشَبَّ غيرَ مثقِّلِ

حَمَلت به في ليلةٍ مَزْءودةٍ كَرْها وعَقْدُ نِطاقِها لَمْ يُحلَلِ[٢]

فيعلق المبرد على ذلك بقوله: " مزءودة ذات زءد ، وهو الفزع .... وجعل الليل ذات فزع لأنه يفزع فيها ، وشبيه بهذا قوله تعالى : { بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... } [٣] والمعنى بل مكركم في الليل والنهار"[٤] ، وأورد المبرد ألواناً أخرى من المجاز العقلي وكانت له رؤية خاصة به فيها ، من ذلك إيراد المصدر كمُلابس للفعل الذي يعتبر شرطاً من شروط تحققه ، ولقد أفاض القول في هذا اللون من المجاز وضرب أمثلة كثيرة له.[٥]

أما الإيجاز فالمبرد حفى به ، وهو يجعله إحدى الفضائل الكبرى في الكلام والذي يطالع مختاراته يلحظ هذا التقدير للإيجاز في نفس أبي العباس ، وقد عقد في أوائل كتابه باباً ذكر فيه بعض ما للعرب من الإيجاز فيقول : " من كلام العرب الاختصار المفهم والإطناب المفخم "[٦] ، ولكن الذي يمعن النظر يجد أنه أكثر من شواهد الاختصار ، ووقف عندها يستحسنها ، وتابع في ذلك مذهب الجاحظ من أن الاختصار يجب أن يكون مفهماً ،

---

[٧] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٤٧

* أنشده أبو عبيدة للكلابى

[٨] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢٤٥

** قائل البيت مجهول وقد ذكره المبرد في كتاب الكامل ،ج٣ ، ص٤١

[٩] / يوسف الآية ٣٦

[١٠] / المبرد، الكامل ، ج٣ ، ص٤١

[١] / علي محمد حسن العماري ، قضية اللفظ والمعنى ، ص٢٥٩

[٢] / الشعراء الهذليين ، ديوان الهذليين ، دار الكتب المصرية ـ القسم الأدبي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥م ، القسم الثاني ، ص٩٢

[٣] سبأ الآية ٣٣

[٤] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٩٤

[٥] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٣١

[٦] / المبرد ، الكامل ، ج ١ ، ص٢٢

ولكنه يزيد عليه وقوع الإيماء فيقول : " وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة "[٧] ، والإيجاز عنده كما يبدو أن يخلو من الفضول.[٨]

ويقدم على قراءة بيت أبي حية النميري بقوله : " ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزود وبعده عن الاستعانة قول أبي حية النميري :ـ

رمتْنِي وسِترُ اللهِ بيْني وبَيْنَها عَشيَّةَ أحجار الكِنَاسِ رَمِيمُ
ألا رُبَّ يومٍ رمَتْنِي رمَيْتَها ولكنَّ عهْدِي بالنِّضَالِ قَديمُ[٩]

ويعقب على البيتين بعد أن شرحهما بقوله : فهذا كلام مفهوم "[١٠]

ويفسر المبرد الاستعانة بقوله : " أما ما ذكرنا من الاستعانة فهو أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحح به نظماً أو وزناً إن كان في شعر أو ليتذكر به ما عده إن كان في كلام منثور "[١١]

ذكر المبرد أمثلة للقلب وسماه ، وقد جاءت مناسبته عندما اختار قصيدة الفرزدق في الذئب التي مطلعها :ـ

وأطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِباً رَفَعْتُ بنَارِي مَوْهِناً فأتَاني[١]

ثم علق على بيت الفرزدق فقال : " وقوله : رفعت له بناري ، من القلب . إنما أراد رفعت له ناري والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار ، قال تعالى : { وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ... } [٢] والعصبة تنوء بالمفاتيح ، أي تستقل بها في ثقل ، ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء بها عجيزتها ، والمعنى لتنوء بعجيزتها "[٣]

ثم ذكر شاهداً من شعر الأخطل :ـ

على العِيَاراتِ هَدَّاجُونَ قدْ بلَغَتْ نَجْران أوْ حُدّثتْ سوءاتهِمْ هَجَرُ[٤]

فجعل الفعل للبلدتين على السعة.[٥]

من يدرس كتاب الكامل يجد أن المبرد قد تناول الاستفهام خاصة عندما يخرج عن حقيقته إلى أغراض أخرى كالتقرير في قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله :

أأنتَ أَخِي ما لمْ تَكُنْ لِيَ حاجَةٌ فإنْ عَرَضَتْ أيقَنْتُ أنْ لا أَخالِيا

فيقول : " وقوله أأنت أخي ... تقرير ، وليس باستفهام ولكن معناه :إني قد بلوتك تظهر لي الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أر من أخائك شيئاً "[٦]

كما يذكر الاستفهام التوبيخي ويضرب لذلك مثلاً بقوله تعالى : { أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ..... } [٧] فيقول المبرد : " إنما هو توبيخ وليس باستفهام "[٨]

---

[٧] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٢
[٨] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٢٤٧
[٩] / أبو حية النميري (الهيثم بن الربيع)، شعر أبي حية النميري ، تح يحيى الجبوري ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، دون ط ، ١٩٧٥م ، ص ١٧٢
[١٠] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢٥
[١١] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٦
[١] / علي فاعور ، شرح ديوان الفرزدق ، ج٢ ، ص٦٢٨
[٢] القصص ٧٦
[٣] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢٥١ـ ٢٥٣
[٤] / مهدي محمد ناصف ، شرح ديوان الأخطل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ، ص١٠٩
[٥] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٢٦١
[٦] / المبرد ، الكامل ، ج١ ،ص١٤٣
[٧] /المائدة الآية ١١٦
[٨] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص١٤٤

يمكن القول أن المبرد كان بلاغياً من الطراز الأول فقد تنبه إلى الأساليب الإنشائية ورأى أن الاستفهام أنواع وأنه قد يخرج عن حقيقته إلى أغراض أخرى كالتقرير والتوبيخ الذَيْن تكلم عنهما .[٩]

كما يفرق المبرد بين الكلام المعقد الغامض ، وبين الكلام المبسوط الواضح ، ويفضل الثاني ويعقد في ذلك مقارنة بين بيت العباس بن الأحنف :ـ

سَأطْلب بُعْدَ الدَّارِ عَنْكمْ لِتَقْربوا وتُسْكُبُ عيناىَ الدموعَ لتَجْمُدَا[٩]

وبين قول روح بن حاتم بن قبيصة ،(وهو واقف على باب المنصور في الشمس فنظر إليه رجل فقال له : قد طال وقوفك في الشمس ، فقال روح : ليطول وقوفي في الظل)[١٠] .

فهو ـ المبرد ـ يشبه الكلام الواضح بكلام الربيع في الحسن والجمال ، فالمبرد يرى في بيت العباس بن الأحنف شيئاً من الغموض لأن الوصول إلى المعنى المراد ، وهو جعل جمود العين كناية المسرة غير واضح تمام الوضوح لأن الجمود هنا كناية عن البخل بذرف الدموع ، وما فهم من كلام المبرد هو ما عبر عنه البلاغيون بالتعقيد المعنوي الذي يخل بفصاحة الكلام [١]، وعرفوه بقولهم : " هو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني ـ الذي هو لازمه والمراد به ـ ظاهراً كقول العباس بن الأحنف "[٢]

كذلك تناول المبرد ما سمي فيما بعد بالتعقيد اللفظي فيقول : " ومن أقبح الضرورة وأهجن وأبعد المعاني قول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ *

وبعد أن شرح البيت وبين مراد الشاعر منه ، يقول : " ولو كان الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير ، حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد "[٣]

فالمبرد لاحظ ما في البيت من تعقيد سببه ما فيه من تقديم وتأخير وانفصال الكلام بعضه عن بعض ، فالمبتدأ منفصل عن الخبر ، والنعت منفصل عن المنعوت ، والمستثنى لم يعقب المستثنى منه ، كل هذا واضح من كلام المبرد حين وضع الكلام في موضعه ، وفسر معنى البيت بما يقتضيه مراد الشاعر والمتأخرون حين يقولون عن البيت نفسه ، إن الفرزدق فصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ ،(وأبوه) خبر بحي وهو أجنبي ، وكذا فصل بين حي يقاربه وهو نعت حي ، وأبو وهو أجنبي ، وقدم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما تراه غاية في التعقيد ، لم يخرجوا في هذا القول عن فحوى كلام المبرد السالف الذكر.[٤]

لم يقتصر حديث المبرد عند حدود علم المعاني أو البيان بل امتد أيضاً إلى ذكره ألواناً استقر الرأي فيها عند المتأخرين بأنها من البديع فمن ذلك التجريد ، والتجريد كما

---

[٩] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٧

[٩] / عاتكة الخزرجي ، شرح ديوان العباس بن الأحنف ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، دون ط ، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤ ، ص١١٦

[١٠] / المبرد ، الكامل ، ج١، ص١٣٧

[١] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٢٠

[٢] / القز ويني (القاضي جلال الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن) ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص١٤

* البيت غير موجود في ديوان الفرزدق وقد ذكره المبرد في كتاب الكامل ج١ ،ص٢٣

[٣] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٣ـ ٢٤

[٤] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٢١

عرفه المتأخرون : (هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في المنتزع منه حتى يصير منها)[٥]

والتجريد عرف من قبل عند سيبويه حين قال : " أما أبوك فلك به أب ، أو فلك فيه أب "[٦] ثم سكت عنه النحاة قرناً كاملاً حتى أورده المبرد مرة أخرى في الكامل ويذكر أمثلة للتجريد منها قول الأعشى:ـ

يا خيْرَ مَنْ يرْكبُ المطِيَّ ، ولا يشْرَبُ كأْسًا بكفِّ مَنْ بَخِلا [٧]

يقول : " إنما تشرب بكفك ولست ببخيل ، ففي هذا التجريد كناية عن الكرم "[١]

وقوله :ـ

أَخُو رَغائِبَ يُعْطِيها ويُسْأَلُها يأْبى الظُّلامَةَ منه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

وإنما يريده بعينه ـ أي هو بنفسه ـ كقولك : لئن لقيت فلاناً ليلقينك منه الأسد ، قوله النوفل من قولهم أنه لذو فضل [٢]، ولا شك أن المبرد في باب التجريد قد خطا خطوات عما تركه سيبويه وأغفله الفراء وابن قتيبة ، حتى كاد يقبر لولا إن المبرد قد نفخ فيه من جديد فأيقظ الحديث عنه بعد طول سبات[٣]

كذلك تناول المبرد الالتفات وجاء ذكره عندما أورد قصيدة ذي الرمة في مدح بلال بن أبي بردة وقد ابتدأ ذو الرمة قوله بـ : تقول عجوز، ثم أورد فيها هذا البيت :

مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمُ الكِرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا[٤]

وعلق عليه المبرد بقوله :" وقوله لمن آل أبي موسى ترى الناس حوله ، فقال ترى ولم يقل ترين وكانت المخاطبة أولاً لامرأة ثم حول المخاطبة إلى رجل ، والعرب تفعل ذلك ، قال تعالى : { إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ.. } [٥]، فكأن التقدير والله أعلم كان للناس ثم حولت المخاطبة إلى النبي (ص)"[٦]

ثم أعاد التمثيل بالآية في موضع آخر فبعد أن ذكر مثالاً للالتفات قال : (والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب ـ ثم ذكر الآية وقال : وكانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت إلى النبي (ص) إخباراً عنهم)[٧]

وبعد ذلك ذكر ثلاثة شواهد أخرى في كل منها التفات قال : وهذا كثير جداً .[٨]

وقد علق صاحب رغبة الآمل على كلمة المبرد في الآية السابقة بقوله : "هذا هذيان من أبي العباس ، وغفلة انسياق الآية ، وإنما الخطاب فيها للناس لا للنبي (ص) قال تعالى : { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ } ثم صرف ذلك الخطاب إلى الغيبة ، فقال : (وَجَرَيْنَ بِهِم) كأنه يرد أن يذكر حالهم لمن بعدهم فيستنكروه ويستقبحوه ."[٩]

---

[٥] / القزويني ، الإيضاح ، ص٢٨٠

[٦] / سيبويه ، الكتاب ، ج١ ، ص٣٩٠

[٧] / الأعشى ، ديوان الأعشى ، تح لجنة الدراسات في دار الكتاب ، لبنان ، ط١ ، دون تر ، ص١٧٥

[١] / المبرد ، الكامل ، ج١ ،ص٤٣

[٢] / المصدر السابق ، ج ١ ، ص٤٥

[٣] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٣٧

[٤] / ذو الرمة ، ديوان ذي الرمة ، ص٢٦٧

[٥] / يونس الآية ٢٢

[٦] / المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص٤٨

[٧] / المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٣٧

[٨] / علي محمد العماري ، قضية اللفظ والمعنى ، ص٢٦١

[٩] / المرصفي ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ، ج٤ ، ص١٨٧

ويرد الدكتور علي محمد العماري على المرصفي بقوله : " والمرصفي ـ عندي ـ متجن على المبرد وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ خطأ الطبع الناشئ عن خطأ الناسخ فالعبارة في الكتاب ، (فكأن التقدير كان للناس) ففهم المرصفي أن المبرد يرى أن الخطاب (كان للناس) وهذه العبارة بصورتها غير صحيحة في تركيبها ، وصوابها ـ فيما أرى ـ كأن التقدير ـ كان الناس ويكون نظم الآية هكذا ـ على ما فهم المبرد : هو الذي يسيركم ... حتى إذا كان الناس في الفلك وجرين بهم ، فالخطاب أصلاً للنبي (ص) ، ثم كان مقتضى النظم أن الناس هم الذين (كانوا) بدليل
(بهم) فكأن الالتفات عند المبرد جاء في كلمة (كنتم) لا في كلمة بهم والله اعلم "[1]

أما حديث المبرد عن اللف والنشر فيقول عبد القادر حسين : " لعله أول حديث يصل إلينا فنحن لا نعرف عنه شيئاً من قبل ، لا عند سيبويه ولا غير سيبويه حتى نهاية القرن الثالث الهجري على يد المبرد ، وقد كان حديثه شافياً بحيث لم يضف المتأخرون إلى جوهره شيئاً مذكورا "[2]

وجاء ذلك عندما روى المبرد قول عبد الله بن عقبة الذي يقول فيه : " ما أحسن الحسنات في آثار السيئات ، وأقبح السيئات في آثار الحسنات ، وأقبح من ذا . وأحسن من ذاك ، السيئات في آثار السيئات ، والحسنات في آثار الحسنات . والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ، ثقة بأن السامع يرد إلى كلٍ خبره ، وقال تعالى : { وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِه...ِ } [3] علماً بأن المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب"[4] ، وهذا النوع في الآية هو الذي سماه المتأخرون باللف والنشر المرتب ، أما ما جاء في كلمة عبد الله فهو من قبيل اللف والنشر المشوش.[5]

ومما سبق ترى الدراسة أن المبرد قد أثرى البلاغة العربية بما أضافه إليها من ألوان بلاغية وإن كان في أغلب الأحيان لم يسمي بعضها باسمها الاصطلاحي المعروف وإنما كان ذكره استطراداً وتنوعاً لأغراض الحديث كما هي العادة عند المتقدمين من العلماء ، إلا إنه لا يمكن إنكار فضله وآثاره فيمن جاء بعده من العلماء وخاصة في حديثه عن التشبيه والذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً .

---

[1] / علي محمد العماري ، قضية اللفظ والمعنى ، ص٢٦١
[2] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٣٧
[3] /القصص الآية ٧٣
[4] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٨٩
[5] / علي محمد العماري ، قضية اللفظ والمعنى ، ص٢٦١

المبحث الثاني : أبرز أقسام التشبيه عند المبرد

لعل من أبرز آثار المبرد في كتابه الكامل ذلك الباب الذي عقده للتشبيه ولم يُعرف أنه قد سبقه أحد إلى القول في التشبيه على هذا النحو من التفصيل وإشباع البحث ، وبه يعد المبرد إمام البلاغيين في علاج هذا الموضوع الذي يعد من أهم موضوعات البيان [١]

فالمبرد في هذا الباب لم يعتمد على أسلافه من علماء البلاغة والنحو العربي ، وإنما اعتمد على استقراء الشعر العربي ، وجمع الشواهد الشعرية التي تحقق له إفراد باب بأكمله في موضوع واحد[٢]

والحقيقة أن التشبيه قبل المبرد كان موزعاً في كتب السابقين يصادف القارئ خلال حديث المؤلف عن موضوع بعينه قد يكون بعيداً كل البعد عن التشبيه ، فيستطرد منه إلى مثال في التشبيه ، أو التعقيب على بيت من الشعر تضمن تشبيهاً ، أو بعض آيات من القرآن حفلت بالتشبيه ، وعلى كل فلم يكن الحديث عن التشبيه قبل المبرد هو القصد الذي يرمي إليه المؤلف ، وإنما يظهر داخلاً في طبقات الكلام [٣]

ولما جاء المبرد افرد له باباً مستقلاً بدأه بقوله : " وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والحدثين بعدهم "[٤] وأتى بأمثلة كثيرة من التشبيهات ولم يكتف بإيرادها وإنما كان يفصل بعضها ويناقش بعضها الآخر.[٥] فقد جمع في هذا الباب بين الرواية والشرح والنقد وساق فيه قدراً كبيراً من النصوص التي ازدانت بفن التشبيه وفسرها وبين ما فيها من جمال .[٦]

أشار علي محمد العماري إلى أن المتقدمين كانوا يعتبرون التشبيه أحد أركان البديع ولا سيما الجاحظ ، وأن أكثرهم يعده ـ التشبيه ـ صناعة لفظية ، ولكن المبرد عده أمراً معنوياً وآية ذلك قوله : " والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له ، وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني "[٧] . والعبارة تفيد أن المبرد أكثر في كتابه من النظر في الصناعة اللفظية ، لأنه ذكر التشبيه لئلا يخلو كتابه (من شيء من المعاني) كما تشير العبارة إلى قناعة المبرد بأن التشبيه من أكثر أساليب التعبير انتشارا وقد أكد ذلك في مواطن عديدة.[٨] كما يقول :"والتشبيه

---

[١] / بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي ، ص١٤٣

[٢] / عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ص٦١

[٣] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٣٠

[٤] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٢

[٥] / مازن مبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، ص٦٢

[٦] / بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب ، ص٢٤٠

[٧] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ٧٨

[٨] / علي محمد العماري ، قضية اللفظ والمعنى ، ص٢٥٣

جار كثيراً في كلام العرب حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد "[٩] وقوله : "والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس "[١٠]

وكان المبرد يورد ما عرف العرب في كلامهم من ضروب التشبيه المختلفة وما تعودوا أن يشبهوا به من أشياء تقع تحت حسهم من واقع حياتهم ، وقد ارتسمت في أذهانهم بمعان خاصة ويبدأ بما جاء في شعر القدماء ثم يتبعه بما جاء واستحسن في شعر المحدثين[١] ، مما يدل على إنصاف المبرد في الحكم على الشعر لم يكن على أساس المقياس القديم بالرغم من حبه للقديم ويثبت هذا الرأي قول المبرد :" وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق"[٢]

نهج المبرد في هذا البحث منهجاً واضحاً ، إذ لم يقدم من التشبيه إلا ما تعارف عليه الأدباء والشعراء . وما شاع في البيئة الأدبية ، وهذا يعني أن المبرد يريد أن يقيم بحثه على أركان وظيفية ، قد أقر أغلب الدارسين بصحتها ونسبتها إلى الفن الذي يعالجه.[٣]

ومن يدرس كتاب الكامل بإتقان يجد أن المبرد قد نظر إلى عناصر التشبيه الأربعة : المشبه والمشبه به ، وأدوات التشبيه ، ووجه الشبه ، وإن كانت عنايته أساساً منصبة على وجه الشبه من ناحية ، ومن ناحية أخرى على مدى قرب أو بعد هذا الوجه وكيفية تداوله في الكلام .[٤] يقول المبرد : " وأعلم أن للتشبيه حداً فالأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه ، فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع "[٥]، فالعبرة ليست من حيث الكمية أو القوة أو الضعف ، بل بما بين الطرفين من وجه شبه بأي حال من الأحوال كثر أو قل ، قوي أو ضعف ، عظم أو صغر.[٦]

تنبه المبرد إلى اكتشاف غاية في الأهمية لو أدرك هو أو البلاغيون المتأخرون أبعاده النظرية لكانوا فتحوا لعلم المعاني آفاقاً لم يلجها إلا في النصف الثاني من القرن العشرين ، يتمثل هذا الاكتشاف في أن التشبيه ممكن لأن ما يظن أنه وحدة معنوية لا تتجزأ ، إنما هو في الحقيقة جسم مركب من وحدات تتكتل مع بعضها لتكون المعنى الكلي الذي يبرز من اللفظة[٧] ، بدليل قوله : " فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع فإذا شبه الوجه بالشمس فإنما يراد الضياء والرونق ولا يراد العظم والإحراق "[٨] ، فلفظة الشمس تعبر عن معنى مفرد في الظاهر عبر عنه بلفظ مفرد ، إلا أنه مركب ـ لمن تعمقه ـ من عدد من (المعانم) وهي بمثابة الهباءات في الجسم الكيمياوي ، فالشمس : ضياء ، رونق ، عظم ، إحراق ،...[٩]

كما تنبه أيضاً إلى أن التشبيه عبارة عن إلحاق أمر بأمر آخر في المعنى ، مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه ، التي تارة توجد مع وجه الشبه وأحياناً تحذف كما في التشبيه البليغ عنده ، وأيضاً قد يتعدد الطرفان أو إحداهما ، ولعل من يقف على درس المبرد للتشبيه سوف يرى نظرتين :

---

[٩] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٤٢

[١٠] / المصدر السابق ،ج٣ ،ص٦٦

[١] / محمد زغلول سلام ،تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى أواخر القرن الرابع الهجري ،دار المعارف ، الإسكندرية ،ط٣ ،دون تر ، ص٣٧٧

[٢] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢٤

[٣] / محمد بركات ، فصول في البلاغة ، ص١٠١

[٤] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٣

[٥] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٧

[٦] / عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ص٦٣

[٧] / حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس) ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، ط١ ، ١٩٨١م،ص٣٦٣

[٨] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٧

[٩] / حمادي صمود ، التفكير البلاغي ، ص٣٦٤

الأولى : بلاغية باعتباره لوناً من ألوان البيان العربي .
الثانية : لغوية باعتباره وسيلة تفاهم في الحياة .
كما كان المبرد كثيراً ما يعجب بالصورة الشعرية من خلال التشبيه [١] ،ولذا فإنه ـ المبرد ـ آثر أن يستوفي دراسة هذا الفن ، فتظهر له تصورات خاصة به استمدها من درسه وشرحه لنماذج هذا الفن ، فهي جيدة لجمال الصورة أو حسنها .[٢]
وأيضاً أورد في هذا الباب أمثلة من غير شرح اعتماداً على ثقافة القارئ واحتراماً لذكائه.... والمبرد بهذا يترك فرصة للقارئ كي يشركه في الدرس والمتعة وإصدار الحكم وتقييم الذوق .[٣]
يبدو أن المبرد كان مولعاً بالإكثار من الأسماء التي يطلقها على التشبيه وأنواعه ولكنه لم يكن دقيقاً في إطلاق هذه المسميات المختلفة ، فالملاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين كثير من هذه الألوان ، وأغلب الظن أنه لم يكن يقصد من وراء هذا الإفراط في التسمية إلا التنويع في الأسماء دون أن يتعدى ذلك جوهر المسميات حيث لا اختلاف بينها [٤] ، فقد عرض المبرد أنواع التشبيه من : قريب وبعيد وبسيط وغريب ، كما تحدث عن تفاوت مراتب التشبيه من مصيب ومفيد ومحمود وعجيب ومتجاوز ومفرط.[٥]
أطلق المبرد على التشبيهات التي أوردها كثيراً من المسميات المختلفة التي تدل على حسنها وملاحتها ولكنه في النهاية أرجعها إلى أربعة [٦] فيقول : " والعرب تشبه على أربعة أضرب فتشبيه مفرط وتشبيه مصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أحسن الكلام "[٧] فإنه نظر إلى المشبه والمشبه به ومدى التوافق أو القرب أو البعد بينهما ومدى توفيق المتكلم في ذلك ، فجاء بهذه الأضرب الأربعة .
أولاً: تناول المبرد التشبيه المصيب ، ويبدأ كلامه بتشبيه امرئ القيس لأنه يوافق إجماع الرواة على أن تشبيهاته أحسن التشبيهات خاصة عندما يشبه في بيت واحد شيئين في حالتين مختلفين ، مثل قوله :

كأنّ قُلُوبَ الطيّر رطباً ويابساً لدى وكْرها العنَّاب والحشف البالي[٨]

فهو عنده تشبيه مصيب ، (والتشبيه المصيب هو الذي تعدد طرفاه ، فيؤتى أولاً بالمشبهات على طريق العطف ثم يؤتى بالمشبه به كذلك ، وتأتي الإصابة بمدى توفيق الشاعر في الإتيان بما يوافق كل طرف منها)[٩]
والتشبيه المصيب عند المبرد يعنى به الذي لا يتجاوز الواقع وإنما يصيب به القول دون إفراط وهو ما اتفق الناس على صدقه وعدم تجاوزه الحدود المتعارف عليها.[١٠]
علق المبرد على البيت السابق بقوله : " فهذا مفهوم المعنى فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال كأن رطباً العناب ، وكأن يابساً الحشف ، قيل له العربي الفصيح الفطن

---

[١] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٤
[٢] / المرجع السابق، ص٤٤٥
[٣] / محمد بركات ، فصول في البلاغة ، ص١٠٠
[٤] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٣٠ ـ ٢٣١
[٥] / محمد بركات ، فصول في البلاغة ، ص١٠٠
[٦] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٣١
[٧] / المبرد، الكامل، ج٣، ص٦٣
[٨] / امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ،ص١٢٩
[٩] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٧
[١٠] / عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ص٦٣

يرمي بالقول مفهوماً ، ويرى بعد ذلك من التكرير عيباً "[1]وهو ما عرف عند البلاغيين بالتشبيه الملفوف فقد شبه امرئ القيس الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب ، واليابس العتيق منها بالحشف البالي ، إذ ليس لاجتماعها هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ، إلا إنه ذكر أولاً المشبهين ثم المشبهين بهما على الترتيب)[2]، ومثل ذلك قول امرئ القيس :

كأنَّ الثريّا عُلّقتْ في مَصَامها   بأمْراسِ كتَّان إلى صُمِ جندل[3]

وعلق عليه المبرد بقوله : " فهذا في ثبات الليل وإقامته ، والمصام : المقام "[4]

ومما سبق يمكن القول إن المبرد كان يتطلب من التشبيه الإصابة(والإصابة والمقارنة في التشبيه مصطلحان يمكن أن يندرجا تحت ما يسمى بالتناسب المنطقي بين أطراف التشبيه لأنهما يرتبطان ــ في النهاية ــ بمدى التوافق الشكلي بين الأطراف)٥

أما الضرب الثاني فهو التشبيه المفرط المتجاوز وهو : (المبالغ فيه أو المبالغ في الصفة التي تجمع بين المشبه والمشبه به)[6]، أو بمعنى آخر هو التشبيه الذي يرد كثير في الكلام وفيه مبالغة بعض الشيء وتجاوز ــ المشبه المشبه به ــ في وجه الشبه ، وذلك في مثل قولهم للسخي هو كالبحر، وهو كالأسد ، وللشريف سما حتى بلغ النجم[7].أعجب المبرد بهذا اللون من التشبيه وآزره بما ذكر من تشبيهات القرآن الكريم ، وشعر الفحول ، ومن التشبيه المفرط قول الخنساء :ــ

وإنَّ صَخْراً لَتَأْتَّمَ الهُدَاةُ بهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نَارُ[8]

ويعلق عليه المبرد بقوله : " فجعلت المهتدي يأتم به ، وجعلته كنار في رأس علم والعلم الجبل "[9] ، وعلق صاحب الإيضاح بقوله : " وأما الإيغال ، واختلف معناه : فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ... فالخنساء لم ترض أن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً "[10]

ويسجل المبرد إعجابه بالتشبيه المفرط في موضع آخر فيقول : " فمن الإفراط في السرعة قول ذي الرمة :ــ

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ في إثْر عَقْرَبَةٍ   مُسَوَّمٌ في سَوَادِ اللَّيْل مُنْقَضِب[11]

فشبه سرعة الدابة بسرعة كوكب سقط من السماء إثر عفريت أو شيطان أراد أن يسترق السمع"[12]

وقد يكون التشبيه متجاوزاً للحد في إفراط ، غير أنه خرج في كلام جيد وعنى به رجلٌ جليل . فخرج من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان ، ثم جعل الجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن كقول النابغة يعنى حصن بني حذيفة:ــ

يَقُولُونَ حِصْنٌ، ثم تَأبَى نُفُوسُهُم   وكَيْفَ بِحِصْنٍ والجِبَالُ جُنُوحُ

[1] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٤
[2] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٧
[3] امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، ص١١٧
[4] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ٣٩
[5] / جابر أحمد عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار الثقافة ، القاهرة ،ط١ ، دون تر ، ص٢٤١
[6] / عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، البيان ، البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دون ط ، دون تر ، ص٢٦٩
[7] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٦
[8] / حمدو طماس ، شرح ديوان الخنساء ، دار المعرفة ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ص٤٦
[9] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٢
[10]/ القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص١٥٤
[11] / ذو الرمة ، ديوان ذي الرمة ، ص٢١
[12] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٦

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السمـاء والأديم صحيح
فعما قليلٍ ثم جــاء نعيــه فظل ندى الحيّ وهو جنـوح[1]

ومن شعر المحدثين المفرط المتجاوز ذكر المبرد أبياتاً وقال : " قال بعض المحدثين في رجل يهجوه والمهجو داود بن بكر وكان ولي الأهواز "[2]والشعر لأبي الشمقمق :ـ

وله لحْيَةُ تَيْسٍ وله مِنْقَــارُ نَسْرٍ
وله نَكْهَةُ لَيْثٍ خالطَتْ نَكْهَةُ صَقْرِ[3]

فالإفراط في التشبيه ليس كذباً وإنما هو قول صادق موشى بزينة المبالغة تلك التي لاحظها المبرد وأعجب بها أيما إعجاب .[4]وقد صرح المبرد بإعجابه بالتشبيه المتجاوز عندما قال : " ومن تشبيههم الجيد النظم قول أبي الطمحان :ـ

أضَاءَتْ لهُمْ أحْسَابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ دُجَى اللّيْلِ حَتَّى نَظّمَ الجِزْعَ ثَاقِبُهْ "[5]

ولم يكتف المبرد بمجرد التعبير عن الإعجاب فتراه يحاول إيجاد سند نظري يدعم به موقفه ويحلل مقاصد ركوب الإفراط والمبالغة وذلك بالتعمق في فهم العلاقة الرابطة بين ركني التشبيه الأساسيين : المشبه والمشبه به ، ويسترسل المبرد بعد ذكر البيت قائلاً : " ويروى عن الأصمعي أنه رأى رجلاً يختال في أزير في يوم قرَّ في مشيته فقال له : ممن أنت يا مغرور ، فقال : أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلي ويدفئني حسبي ، وقيل لآخر في هذه الحال : أما يوجعك البرد ، فقال بلى والله ، ولكني أذكر حسبي فأدفأ ، وأصوب منهما العريان الذي سئل في يوم قر عما يجد ، فقال : ما علي منه كبير مؤونة ، فقيل : وكيف ؟ فقال : دام بي العرى فأعتاد جسمي ما تعتاده وجوهكم ."[6]

والمبرد كان على فهم ودراية حين أعجب بالتشبيه المفرط الذي يتسم بالمبالغة ويستند في تبرير هذا الإعجاب بتفسير عقلي يقنع من يحاول رد هذا القول بالإضافة إلى أنه قد أتى بنص من القرآن فوجب تقبله دون مناقشة ومن ثم بعد ذلك تقبل تفسيره لا عن صحة المبالغة والإفراط في التشبيه فحسب بل على جماله وسداده أيضاً .[7]

والملاحظ إن المبرد في سياقات أخرى سيء الظن بالمبالغة والتشبيه المتجاوز ، متشبهاً بضرورة مطابقة الفن القولي للحقيقة الموضوعية ،أو أن يقع قريباً منها على الأقل فبعد أن أورد قول الشاعر في النحافة :ـ

ولوْ أنَّ ما أبْقَيْتَ مِنِّي مُعَلقٌ بعُودِ ثُمَامٍ ما تَأَوَّدَ عُودُها*

يقول : " الثمام نبت ضعيف واحدته ثمامة ، وهذا متجاوز كقول القائل : ويمنعها من أن تطير زمامها "[1]

وهذا عند المبرد خارج عن الصواب والحقيقة أنه داخل في المجال ، وقد أشار المبرد إلى الإفراط الشديد في رسم الصورة ، ودعا إلى تجنب المبالغة المفرطة، ويعلق بما يوحي إلى ذلك على البيت السابق ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى قانون عام في جودة الشعر وفضله في

---

[1] / حنا نصر الحتي ، شرح ديوان النابغة الذبياني ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، ص٤٦
[2] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٦
[3] / أبو الشمقمق (مروان بن محمد) ، ديوان أبي الشمقمق ، تح واضح محمد الصمد ، دار الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، ص٤٤
[4] / عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ص٦٣
[5] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٦٤
[6] / المصدر السابق ، ج٣ ، ص٦٤
[7] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٣٢
* قائل البيت مجهول وقد ذكره المبرد في كتاب الكامل ،ج١ ،ص٢٠٠
[1] / المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٠

الحسن فيقول : " وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب "[٢]

ويتناول المبرد الضرب الثالث من التشبيه ، هو التشبيه المتقارب وقد عرفه عبد القادر حسين بقوله: " هو التشبيه الصريح الذي يقوم بنفسه ولا يحتاج إلى تفسير أو تأويل ، لأنه ظاهر مكشوف يتسم بالبساطة والوضوح "[٣]

أما عبد الواحد حسن فيقول : " وهو المقارب أو القريب ، وسمي بذلك لأن الإنسان يدرك في سهولة ويسر العلاقة بين طرفيه ، ومن ثم كان المبرد على صواب عندما سماه بهذا الاسم ، وإن كان وجه الشبه قد حذف منه وذلك لبيانه ووضوحه ، كقول ذي الرمة :ـ

وَرَمْلٍ كَأَوْرَاكِ العَذارَى قَطَعْتُهُ وقدْ جَلَّلَتْهُ المُظْلِمَاتُ الحَنَادِسُ*[٤]

فقد شبه الرمل بأوراك فتيات عذارى لم يتزوجن بعد ، بأداة التشبيه وهي الكاف ، ووجه الشبه معلوم وواضح "[٥] ، فقال المبرد معلقاً على هذا البيت : " أنه من حلو التشبيه وقريب وصريح الكلام "[٦]

أما المرصفي فقد علق على البيت قائلاً : " ورمل كأوراك العذارى ، أخرجه مخرج المبالغة جعل أوراك العذارى مشبهاً والمألوف تشبيهها بالرمل "[٧]

أما ابن جني (ت٣٩٢هـ) فقد اعتبر هذا البيت من التشبيه المقلوب وقد عقد له فصلاً باسم (غلبة الفروع على الأصول) ذكر فيه بيت ذي الرمة وعلق عليه بقوله : "أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء ... فقلب ذو الرمة العادة والعرف ، فشبه كثبان الأنقاء بأعجاز النساء... هذا وكأنه يخرج مخرج المبالغة ، أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء ، وصار كأنه الأصل فيه حتى شبه به كثبان الأنقاء "[٨]

ومن أمثلة التشبيه المقارب التي ذكرها المبرد قول الشماخ في وصف الفرس :ـ

مُفِجٌّ الحَوامِي عنْ نِسُورٍ كأَنَّها نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عنْ جَرِيمٍ مُلَجْلِجِ[١]

ويشرح المبرد البيت قائلاً : " قَوله (مفج الحوامي) يريد مفرق الحوامي فالحوامي نواحي الحافر والنسور ، واحدها نسر وهي نكته في داخل الحافر ويحمد الفرس إذا صلب ذلك منه ولذلك شبه بنوى القسب ، وترت : سقطت ، والجريم : المصروم ، والملجلج : الذي قد لجلج مضغاً في الفم ثم قذف لصلابته ، وقوله : مفج ليس يريد الذي هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن النسر ، فإنه إن اتسع و إستوى أسفله فلذلك الرجح ، وهو مذموم في الخيل ، وكذلك إن ضاق وصغر قيل له مضطر وكان عيباً قبيحاً "[٢]

أخيراً ومن أبرز أقسام التشبيه التي تناولها المبردـ أو الضرب الرابع ـ هو التشبيه البعيد . ومن المعتقد أن المبرد نظر إليه ـ التشبيه البعيد ـ أيضاً باعتبار وجه الشبه ولذا

---

[٢] / نفس المصدر ، ج١ ، ص٢٠٠
[٣] / عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ص٦٤
* الحنادس تعني الليالي المظلمة
[٤] / ذو الرمة ، ديوان ذي الرمة ، ص٢١
[٥] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٨
[٦] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٥٢
[٧] / المرصفي ، رغبة الآمل من كتاب الكامل ، ج٢، ص٧
[٨] /ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص ، تح محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، ط٢ ، دون تر ، ج١ ، ص٣٠٢
[١] / أحمد بن الأمين الشنقيطي ، شرح ديوان الشماخ ، مطبعة السعادة ، مصر ، دون ط ، ١٣٢٧هـ ، ص١٥
[٢] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٥٢

سماه بالتشبيه البعيد ، لبعد الشبه بين المشبه والمشبه به واحتياجه إلى التفسير ، ولذا فإنه لا يقوم بنفسه وهو أخشن الكلام في رأيه .

ولعل المبرد كان دقيق النظر صائب الفكرة في تعبيره عن هذا الضرب فالمتأمل لهذا الضرب لوجده يحتاج في إدراكه إلى تأمل وإمعان النظر ، وتأتي غرابته من أن المستمع إذا سمع المشبه به لا يخطر بباله ذكر المشبه لما بينهما من البعد ، ويتضح هذا بصدق عند التطبيق .[٣]

ويضرب لذلك النوع من التشبيه مثلاً كقول الشاعر : ـ

بَلْ لَوْ رَأَتْنِي أُخْتَ جِيرانِنَا إذْ أنَا في الدَّارِ كأنِّي حِمَار*

يقول المبرد :" فإنما أراد الصحة فهذا بعيد لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره "[٤] والذي جعل التشبيه بعيداً في هذا البيت أن قصد الشاعر يختلف عما يفهمه الناس من التشبيه فالسامع يتبادر إلى ذهنه ولأول وهلة إنما القصد من التشبيه بالحمار وصفه بالبلادة والغباء وسوء التصرف ، ولا يطرق ذهنه أن مراد الشاعر من تشبيه نفسه بالحمار أنه في غاية الصحة وكمال القوة .[٥]

ولذا فإن المبرد يرى أن الواضح في ذلك إنما هو قوله تعالى : { مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً }[٦] فالعلاقة بين حملة التوراة ـ ولم يعوا ما فيها أو يعلموا به ـ وبين الحمار الذي يحمل الأسفار والكتب ولا يدري ما بها فيبدوا أنها علاقة واضحة .[٧]

والملاحظ أن قول المبرد : (إنما يستدل عليه بغيره) يشير إلى وجه من وجوه إدراك المعنى حيث تفسير اللغة باللغة ويقوم الاستعمال الدارج مقام العلاقة الراشدة في المعنى فكأنه تتكون لدى الإنسان بمفعول الزمن ردود فعل معينة ، يتبادر بها متى وقع المنبه إلى المعنى ، دون آخر فإذا خرج مستعمل تلك العبارة عن المعنى اللطيف بها ، يكون أبعد ولا سيما إذا تعلق الأمر بالأمثال المشتركة الشائعة مثل المثال السابق .[١]

---

[٣] / عبد الواحد حسن قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٩

* قدم علي بن الجهم و كان بدويًّا جافياً على المتوكل الخليفة العباسي فأنشده قصيدة قال فيها :
بل لو رأتني أخت جيراننا إذ أنا في الدار كأني حمار

[٤] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٦٥

[٥] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٣٤

[٦] سورة الجمعة الاية ٥

[٧] / عبد الواحد حسن قضايا النقد الأدبي ، ص٤٤٩

[١] / حمادي صمود ، التفكير البلاغي ، ص٣٣٧

المبحث الثالث : أقسام أخرى للتشبيه عند المبرد

أورد المبرد من أنواع التشبيه وتفاوت مراتبه ما يرتبط بالتقسيم من حيث المعنى ، لا من حيث الأطراف من مشبه ومشبه به ، أو من جهة الأدوات ، وذلك لأن المبرد يعرض في التشبيه في وصفه للمعاني التي تتفق ما يعرض إليه من موضوعات ، ولهذا فإن ما ذكره ـ المبرد ـ من التشبيه في الكامل حتى لا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني .[١]

وكما سبق الذكر فقد أكثر المبرد من مسميات التشبيه ، فكانت الأمثلة التي وردت تدور حول عدد من التشبيهات ، كالتشبيه المليح ، والمحمود ، والجيد ، والحسن ، والمختصر ، وغيرها من التشبيهات الأخرى. والمبرد بهذا التقسيم يربط التشبيه بالنقد العربي لأن النظرة النقدية القديمة حول المعاني شغلت القدامى .[٢]

وسيأتي ذكر بعض التشبيهات التي ذكرها المبرد في هذا البحث وهي كما سبق الذكر كثيرة ، فمن تلك التشبيهات والتي تناولها المبرد ، التشبيه المليح مستشهداً له بقول الشاعر:ـ

لِعَيْنَيْكِ يَوْم البَيْن أسْرَع وأكْفَأ مِنْ الفَنَنِ المَمْطُورِ وهو مَروحُ[٣]

---

[١] / محمد بركات حمدي ، فصول في البلاغة ص١٠٢

[٢] / المرجع السابق ، ص١٠٣

[٣] / أبو حية النميري ، شعر أبي حية النميري ، ص١٣٠

وهو عند المبرد من التشبيه المليح فيفسره بقوله : "وذاك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن فإذا هبت به الريح لم تلبثه أن تقطره "[٤]لروعة صورته فمضمون هذه الصورة أن الشاعر شبه دموع عيني محبوبته يوم الفراق بالغصن الذي يقع المطر على ورقه ثم تهب الريح فيتساقط ماء المطر من الورق قطرات .

ثم يذكر بعد هذا البيت بعض أمثلة التشبيه المليح في أشعار المحدثين فيقول : "ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين وملاحتهم ، فقد شرطناه في أول الباب إنشاء الله ، ومن أكثرهم تشبيهاً لاتساعه في القول وكثرة تفننه واتساع مذاهبه الحسن بن هاني "[٥]

قال أبو نواس في مديحه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك :ـ

وكنَّا إذا ما الحائنُ الجَدِّ غـرَّهُ سَنَا برقٍ غادٍ أوْ ضجيجُ رعادِ
تردَّى لهُ الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالدٍ بماضي الظُّبى يزهاهُ طولُ نجاد
أمـــامَ خميسٍ أُرجُـوانٍ كأنَّهُ قميصٌ مَحوكٌ من قناً و جيــادِ
فما هوَ إلاَّ الدَّهْرُ يأتي بصرفِـهِ على كلِّ مَنْ يشقَى بهِ ويُعــادي [٦]

يبدأ المبرد ـ كما هو منهجه في الكتاب ـ بتفسير وشرح الكلمات الغامضة ، ثم يذكر أبيات أخرى ويشرحها كما فعل في الأولى ثم يعود لشرح أبيات أبي نواس فيقول :

"وقوله سنى برقٍ غادٍ ، والسنى من الضياء مقصور.... والسنا من المجد الممدوح ....وضربه الحسن هاهنا مثلاً "[٧]

اعتبر المبرد هذا التشبيه مليحاً لأن الشاعر يقول أنه ينقض بجيش أحمر من الدماء وكأنه قميص حيك من الرماح والخيول .

ثم تناول بعد ذلك التشبيه الجيد ويعرفه جابر عصفور قائلاً : " إن التشبيه الجيد هو المظهر العلمي لقدرات الشاعر الذهنية الخاصة ، لا تتوافر فيمن حوله من البشر العاديين ، وهي قدرات تمكنه من أن يعرف أكثر مما يعرفون ـ ويدرك أكثر مما يدركون ـ العلاقات الكامنة بين الأشياء "[١]

أما المرزباني فيعلق على التشبيه الجيد عند المبرد بقوله :"هو قرين الفطنة والتفرق على ما لا يعرفه الآخرون "[٢]، ويظهر ذلك في قوله :"أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه،وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة وخبه فيه بفطنته على ما يخفى عليه"[٣]

ومن الشعراء الذين عدهم المبرد ذوي فطنة مكنتهم من قول الشعر الذي يحتوي على التشبيه الجيد أبو نواس ، ومن التشبيه الجيد قوله :ـ

تَرى النَّاسَ أفْوَاجاً إلى بَابِ دارِهِ كأنَّهُم رَجْـلاً دَباً وجَـرادِ
فيَوْمٌ لإلْحَـاقِ الفقِيرَ بِذِي الغِنَى ويَوْمُ رقابٍ بوكِرَتْ لحَصَادِ[٤]

شبه الشاعر هنا ازدحام الناس أمام دار ممدوحه بالجراد ودبيب الأرجل ، ثم يقول المبرد : ومن التشبيه الجيد قوله ـ أبو نواس ـ ، ثم يذكر سبب قول هذه الأبيات فيقول : " وكان

---

[٤] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٦٧
[٥] / المصدر السابق ، ج٣ ، ص٦٧
[٦] / أبو نواس ، ديوانه ، ص٤٧٣
[٧] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٦٩
[١] / جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي ، ص١٣١
[٢] / المرزباني ، الموشح ، ص١١٦
[٣] / المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٢٠٠
[٤] / أبو نواس ، ديوانه ، ص٢٩

سبب هذا الشعر أن الخليفة تشدد عليه في شرب الخمر وحبسه من أجل ذلك حبساً طويلاً فقال :ـ

أيُّها الرائحان باللَّوْمِ لُومَـــا   لا أذوقُ المُـدَامَ إلا شَمِيمَا
نالني بالمَلام فيــها أمـــامٌ   لا أرَى لي خلافَـه مُسْتَقيما
فـأصْرِفـَاهـا إلى سوايَ فإنِّي   لسْتُ إلا على الحديث نديْمَا
كَبْرُ حظِّي مِنْها إذا هي دارتْ   أن أراها وأن أشُـــمَّ النَّسيمَا
فكأنِّي ومــا أزيِّنُ منـــه   قَعَدِيٌّ يُزَيِّـنُ التَّحكيـمَا
لم يطق حمله السلاح إلى الح   ب فأوصى المطيق إلا يقيما [٥]

ويقول المبرد : فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد "[٦] ويبدو أن المبرد بهذا القول جعل السبق إلى المعنى من أسباب جودة الشعر.

ثم يتناول المبرد قسم آخر من أقسام التشبيه التي نثرها في كتابه ، وهو التشبيه الحسن ـ كما أطلق عليه ـ ، فمن التشبيهات التي نالت استحسان المبرد قول جرير في صفة الخيل :ـ

يَشْتَفْنَ للنظَرِ البَعيدِ كأنَّما   إرْنَانُها ببَوائنِ الأشْطانِ[*]

وشرحه بقوله : " يشتفن ويتشوفن في معنى واحد ، قوله كأنما أرنانها ببوائن الأشطان ، أراد شدة صهيلها ، يقول كأمنا يصهلن في آبار واسعة تبين أشطانها عن نواحيها "[١]، ومن حسن التشبيه أيضاً قول عنترة :ـ

غَادَرْنَ نَضْره في مَعْرَكٍ   يَجز الأسنة كالمحتطب[٢]

ويشرحه المبرد بقوله : " ويقول طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كأنه حامل الحطب "[٣] ، ويظهر أن سبب استحسان المبرد لهذا البيت ، أن عنترة شبه المطعون بالرماح وهو يغادر المعركة بحامل الحطب .

وكما هي العادة عند المبرد أن يستوفي المحدثين نصيبهم في الكتاب فيذكر أبياتاً لبشار اعتبرها من التشبيه الحسن ، فقال : ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار :ـ

وكـأنَّ تَحتَ لِسَانِها   هاروتَ يَنْفُثُ فيهِ سِحْراً
وَتَخالُ مَا جَمَعَتْ علي   ـه ثِيابها ذهباً وعِطْرا [٤]

استحسن المبرد بعض التشبيهات التي وردت في كلام العرب المنثور وقدمها قائلاً : " والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس . وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية ،

---

[٥] / المصدر السابق ، ص٢٩
[٦] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٧١
[*] البيت غير موجود في ديوان جرير وقد ذكره المبرد في كتاب الكامل ج٣ ،ص١٢
[١] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٢
[٢] / عنترة بن شداد العبسي ، ديوان عنترة ،ـ مطبعة الآداب ، بيروت ، دون ط ، ١٨٩٣م ، ص١٥
[٣] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٢
[٤] / محمد الطاهر عاشور ، شرح ديوان بشار ، سحب للطبعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، دون ط ، دون تر ، ج٤ ، ص٥٦

والأنف بحد السيف ، والفم بالخاتم ، والشعر بالعناقيد ، والعنق بإبريق فضة ، والساق بالجمار ، فهذا كلام جار على الألسن "[٥]

(وكما سبق الذكر أن المبرد كان مولعاً بالإكثار من الأسماء التي يطلقها على التشبيه وأنواعه دون أن يضع حدوداً تميز كل لون عن الآخر ، فالتشبيه الجيد والحسن والمليح مثلاً بمعنى واحد.)[٦]

لا شك أن المبرد هنا أقرب لهذه المعاني من عبد القادر حسين ، فهو أقدر على تمييز تلك الفروق الدقيقة ـ والتي قد تغيب عن الكثير ـ ولا شك أن هناك فروقاً ـ وإن لم تكن ظاهرة تماماً ـ بين هذه المفردات فالجيد فوق الحسن ، والمليح هو الحسن الذي تجد له النفس لذة . وعليه تكون تقسيمات المبرد من الدقة بمكان ...

ثم يتناول المبرد بعد ذلك التشبيه العجيب ، يتعجب المبرد من بعض التشبيهات ويفرق بينها وبين التمثيل في قوله : ومن تشبيه امرئ القيس العجيب قوله :

كأنَّ عُيُونَ الوحْش حولَ خبائنا و أرْحُلنا الجزْع الذي لم يُثَقَّبِ[٧]

شبه امرؤ القيس هنا صورة عيون الوحش وهي تدور حول خيامهم ليلاً بالجزع قبل أن يثقب وتضعه النساء .

أما صاحب الإيضاح فيعد هذا البيت من باب الإطناب فيعلق عليه بقوله : "فإنه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية و احتاج إليها جاء بزيادة حسنة في قوله(لم يثقب) لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون "[٨]

وقال المبرد : ومن أعجب التشبيه قول النابغة :ـ

فإنَّكَ شَمْسٌ والمُلوكُ كَوَاكبٌ إذا طَلِعتْ لمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ [١]

فالنابغة يشبه في هذا البيت ممدوحه بالشمس ويشبه غيره من الملوك بالكواكب ،إن عظمة ممدوحه تغض عن عظمة كل ملك ، وكما تخفي الشمس الكواكب فإذا ظهر الممدوح أخفى الملوك .... وقد عده المتأخرون من التشبيه البليغ (وهو الذي حذف منه الأداة ووجه الشبه فقد حذفا في قوله (إنك شمس) فالمشبه هو اسم إن والمشبه به هو خبرها)[٢]، كما عده بعضهم من التشبيه المجمل (ما لم يذكر وجهه ولم يذكر فيه وصفه المشبه وذكر فيه وصف المشبه به كقول النابغة السابق)[٣].

ثم يتطرق المبرد بعد ذلك إلى ذكر نوع آخر أو قسم آخر وهو التشبيه المحمود كقول الشاعر :ـ

طـليق الله لم يمن عليـه أبو داؤود ابن أبي كثيـر

ولا الحجاج عيني بنت ماءٍ * تقلب طرفها حذر الصقور**

---

[٥] / المرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٦٦

[٦] / عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ص٦٢

[٧] / امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، ص٣٧

[٨] / الخطب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص١٥٤

[١] / النابغة ، ديوانه ،ص٢٣

[٢] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٢

[٣] / القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص١٩٤

* بنت ماء : ما يصاد من طير الماء ، إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذراً منه

** قال إمام بن أرقم النميري وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال طليق الله لم يمنن عليه أبو داود وابن أبي كثير ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذر الصقور

ويشرح المبرد الأبيات ويعلل نوعاً ما سبب وصفها بالمحمود قائلاً : " وهذا غاية في صفة الجبان ، ونصب (عيني بنت ماء) على الذم ،وتأويله إنه إذا قال جاءني عبد الله الفاسق الخبيث ، فليس يقوله إلا وقد عرفه بالفسق والخبث فنصبه "[٤].

كما حبذ المبرد الكلام المختصر المفهوم ، تحدث هنا عن نوع آخر من التشبيه وهو التشبيه المختصر الذي تفضله العرب فيقول : " والعرب تختصر في التشبيه ، وربما أومأت به إيماء ، قال أحد الرجاز :ـ

بِتْنَا بحِسانٍ ومِعْزاةٍ تَئِطْ*** مـازِلـتَ أسْـعَى بَيْنَهُمْ والتَبطْ
حتَّى إذا جنَّ الظّلامُ واخْتلطْ جَاءُوا بمَدقٍ هلْ رَأيْتَ الذئبَ قَطْ "[٥]

تناول أيضاً المبرد من حيث الطرفين التشبيه الملفوف وقد سبق الحديث عنه ومنه قول الشاعر(الأخيطل الأهوازي) في مصلوب :ـ

كأنَّه عاشِقٌ قدْ مدَّ صَفْحتهُ يومَ الفُراقِ إلى تَوْديعِ مُرْتَحِلِ
أوْ قائمٌ منْ نُعاسٍ فيه لوْثَتهُ مُواصِلٌ لَتمطّيهِ منْ الكَسَـلِ [٦]

فقد شبه هذا المصلوب بالتمطي إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاثة.[٧]

تناول المبرد نوع آخر من التشبيه وهو ما أطلق عليه تشبيهات غريبة مفهومة ، فقد اعتبر بعض التشبيهات غريبة ورغم ذلك يجدها مفهومة ومن ذلك قول جرير في يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية :ـ

ضَخْمُ الدَّسيعَةِ والإبياتِ غُرَّتَهُ كالبدْرِ ليْلةِ كادَ الشهْرُ ينْتَصِفُ[١]

وقال عبد الرحمن العطوي :ـ

قدْ رأيْنَا الغزَالَ والغُصْنَ والنَّجْمَيْن شَمْسُ الضُّحى وبَدْر الظَّـلامِ
فَوحقِّ البَيَـانِ يعْضـدَهُ البـر هـانَ في مـأقَطٍ ألدَّ الخِصَـامِ
ما رأيْنَـا سِوَى المَليحَـةِ شَيْئـاً جَمَـعَ الحُسْنَ كُلَّـهُ في نِظَـامِ
فهيَ تَجْري مَجْرى الأصَالةِ في الرَّأ يِّ ومَجْرى الأرْوَاحِ في الأجْسَامِ

ويشرح المبرد الغريب في هذه الأبيات بقوله : " البرهان : الحجة ، قال تعالى: {... قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [٢] أي حججكم ، والمأقط : موضع الحرب ، فضربه مثلاً لموضع المناظرة والمحاجة ، والألد : الشديد الخصومة ، قال تعالى : {... وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا } [٣] وقال تعالى : {... وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } [٤] وعلق المبرد قائلاً : فهي تشبيهات غريبات مفهومات)[٥]

وتناول أيضاً المبرد تشبيه التسوية وهو تعدد الطرف الأول أي المشبه دون المشبه به ، وذلك في قول ذي الرمة :ـ

---

[٤] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٦
*** تئط : صوت الإمعاء من الجوع
[٥] /المصدر السابق ، ج٣ ،ص٧٦
[٦] / نفس المصدر ، ج٣ ، ص٣٠
[٧] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥١
[١] / جرير ، ديوانه ،ص٣٠٧
[٢] /البقرة الآية ١١١
[٣] /مريم الآية ٩٧
[٤] ا/لبقرة الآية ٢٠٤
[٥] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٩

بَيْضاءُ في دَعَجٍ صَفْراءُ في نَعَجٍ إذا طلعت كأنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ[٦]

وبالنسبة لحذف بعض عناصر التشبيه فإنه تناول التشبيه البليغ وهو الذي حذف منه الأداة ووجه الشبه وذلك كقول الشاعر :ـ

فإنَّكَ شَمْسٌ والمُلوكُ كَوَاكبٌ إذا طَلِعتْ لمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ [٧]

فإنه حذف أداة التشبيه ووجه الشبه في قوله (إنك شمس) فالمشبه هو اسم إن والمشبه به هو خبرها إلى غير ذلك من ألوان التشبيه الواردة عنده في الكامل .[٨]

ويتحدث المبرد عن التشبيه المطرد فيقول : " ومن التشبيه المطرد على ألسنة العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمها ـ ويورد المبرد بعض أبيات الشماخ التي عدها من التشبيه المطرد وهي :ـ

كـأنَّ ذِرَاعَيْـها ذراعـاً مُدلـةٍ بُعيـدَ السُّبَابِ حاولتْ أنْ تَعـذَّرا
مِنْ البِيض أعْطافاً إذا اتَّصلتْ دَعتْ فراسَ بنْ غَنْمٍ أو لقيط بنَ يَعْمـرا
لهـا شـرقٌ مِنْ زَعفَرانٍ وعنْبـر أطارتْ مِنْ الحُسْن الرِّدَاءَ المُحبَّرا
تقـولْ وـد بلَّ الدُّموعُ خِمَارهـا أَبَي عفَّتي ومَنْصبي أنْ أعيِّـرا
كـأنَّ بذِفراها مناديـلَ فـارَقتْ أكُفَّ رجالٍ يَعْصرُونَ الصَّنوبـرا [٩]

يقول المبرد : " وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا ، يقول هي مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيئاً عن الناظر لأنها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها "[١٠]

كما أورد المبرد مجموعة من التشبيهات التي عرفها العرب وتعودوا عليها ، فقال : "والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاء ونعمة لونه .... فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها.. قال الأعشى :ـ

كَأنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جارَتِهَا مَرُّ السِّحَابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ [١]

ويضيف المبرد والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر ، والغصن والكثيب والغزال ، والبقرة الوحشية ، والسحابة البيضاء ، والدرة والبيضة ، وإنما نقصد من كل شيء إلى شيء"[٢]

ومن التشبيهات القليلة الاستعمال عند العرب تشبيه المعلوم بالمجهول أو ما سماه البلاغيون بالتشبيه (الوهمي) وهو ما ليس مدركاً بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ولكنه لو وجد فأدرك لكان مدركاً بها كقول امرئ القيس:ـــ

أيقْتُلُني والمشْرَفيُّ مُضَاجعي ومسْنُونة زُرْقٌ كأنْيَاب أغْوَال[٣]

ويقول المبرد : " والغول ، لم يخبر صادقٌ أنه رآها "[٤] ، ومع ذلك شبه أسنة الرماح بأنيابها.[٥]

وذكر المبرد أمثلة أخرى لهذا النوع ، منها قوله تعالى : { طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ } [٦]، فوقف المبرد يدافع عن هذه الصورة القرآنية عندما اعترض بعضهم على

---

[٦] / ذو الرمة ، ديوانه ، ص١٢ورد البيت في الديوان : كحلاء في برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب
[٧] / النابغة ، ديوانه ، ص٢٣
[٨] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٢
[٩] /أحمد بن الأمين ، شرح ديوان الشماخ ، ص٢٨ـ٢٩
[١٠] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٤٨
[١] / الأعشى ، ديوان الأعشى ، ص١٤٩
[٢] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٨
[٣] / امرؤ القيس ، ديوانه ، ص١٢٥
[٤] / المبرد ، الكامل ،ج٣ ، ص٤٤
[٥] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٠

هذه الآية بقولهم : " إنما يمثل الغائب بالحاضر ، ورؤوس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها " ، فقال المبرد : " وهؤلاء في هذا القول كما قال تعالى :{ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...} [٧] وهذه الآية جاء تفسيرها على ضربين أحدهما أن هناك شجراً يقال له الأستن منكر الصورة يقال لثمره رؤوس الشياطين ، وهو الذي ذكره النابغة في قوله :" تحيد من أستن سود أسافله... "[٨] ، وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم

والقول الآخر : هوـ الذي يسبق إلى القلب ـ أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد فكان ذلك ابلغ المعاينة ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس[٩].

ويمكن القول إن في قوله (طلعها) توحي بأنها شجرة لها ثمار ولم يقل ثمار لأن الثمار مستحبة إلى النفس ، وأما الطرف الآخر (رؤوس الشياطين) فإن ذلك مسرح للخيال واسع ، فكل سامع يتخيل صورة قبيحة لرؤوس الشياطين ، وعليه تتعدد الصور وهذا منتهى الإبداع .

وبهذا يبن المبرد سلامة هذا الإسلوب ومكانته في البلاغة ، ولئن لم ينبن الدفاع على رؤية فنية متكاملة فقد تضمن معطيات ذات بال من أهمها التأكيد في بناء الصورة بشكل التعبير ، على الغرض أي على علاقة المتقبل بالنص والحالة التي يروم الكاتب إحداثها فيه فيتحول تبعاً لذلك مركز الاهتمام من البحث عن إمكانية الصورة أو استحالتها إلى النظر في وظيفتها وإيفائها بالغرض . ثم إن الصورة لا تنفصل فاعليتها عن السياق الجملي الذي وردت فيه لأنه يرغمها ويمهد لتوظيفها التوظيف اللائق بها ، فالتشبيه برؤوس الشياطين في القرآن لابد أن يقترن بصورة الشيطان فيه وما بلغه ذلك التصوير من ترشيح فكرة القبح والبشاعة .[١]

ذكر المبرد شواهد على استعمال العرب لكلمة شيطان في الشعر متتبعاً معانيها إلى أن يصل إلى المعنى الذي يرضاه ، وهو أن الشيطان قد طبع الله صورته في القلوب فوقر فيها نكارته وشناعته فأصبحت تحسها وتعيها كأنها ماثلة أمامهم .[٢]

ومن اللفتات الطيبة التي تستوقف الدارس لتشبيه المبرد كثيراً إعجابه بالصورة الشعرية من خلال التشبيه ، ومثال ذلك الأبيات التي قالها مجنون ليلى فيها :ـ

كَأنَّ القَلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى   بليْلَـى العامِرِيَّةِ أو يـراحُ
طاةٌ غَرَّها شرَكٌ فبـاتتْ   تجانبه وقد علقَ الجنــاحُ
لها فَرْخَانِ قَدْ تُرِكَا بِقفْرٍ   وعُشهما تصفِّقُهُ الرِّيَــاحُ
فلا بالليلِ نالتْ ما تَرْجَى   ولا بالصُّبْحِ كان لها براحُ [٣]

فيعلق عليها المبرد بقوله : " فهذا غاية في الاضطراب ، وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار"[٤]

---

٦ /الصافات الآية ٦٥
٧ /يونس الآية ٣٩
٨ / النابغة ،شرح ديوان النابغة ، ص١٠٣ ، وعجز البيت هو : مشى الإماء الغواري تحمل الحزما
٩ / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٤٢
١ / حمادي صمود ، التفكير البلاغي ، ص٢٦٩
٢ / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٠
٣ / مجنون ليلة (قيس بن الملوح)، ديوان مجنون ليلى ، دراسة وتعليق يسرى عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م ، ص١١٣
٤ / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٦

وكما سبق الذكر فقد سوى ـ المبرد ـ بين القدامى والمحدثين في الناحية الأدبية وهنا أيضاً ـ في التشبيه ـ قد سوى بين قديم الشعراء وحديثهم فالمهم عنده الصورة الأدبية ومدى ما تفيده للقارئ والسامع ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد وجد المبرد الشعراء المحدثين قد أدلوا بدلوهم أيضاً فيه ، ومن ثم فإن المبرد أيضاً سوف يتناول طرائف من تشبيهاتهم وملاحتهم[٥]، ومن ذلك قوله : ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار :ـ

كأنَّ فُؤادَهَ كُرَة تَنْـزَى حِـذارَ البَـيْنِ إنْ نَفَعَ الحِذارُ
يُرَوِّعُهُ السِّرارَ* بكُلِ أمْرٍ مَخَافة أنْ يَكُونَ بهِ السِّـرارُ[٦]

ويذكر المبرد مجموعة من التشبيهات تصور المصلوب منها قول دعبل بن علي :ـ

لم أرَ صَفَّـاً مِثْلَ صَفِّ الزُّطِّ تِسْعينَ مِنْهُمْ صُلِبُوا في خَطِّ
مِنْ كلِّ عالٍ جِـذعُـهُ بالشَّطِّ كأنَّـهُ في جِـذعِهِ المُشْتَطِّ
أخُو نُعَـاسٍ جَـدَّ في التَّمَطِّي قـدْ خَامرَ النّوْمَ ولـم يَغطِّ[٧]

والمبرد يعجب بهذه التشبيهات لأنها تشبيهات مستطرفة تقوم على الجمع الحاذق للأشياء المتباعدة ، وإصابة شبه يجعل بينها مناسبة واشتراكاً .[١]

وكما كان ينظر إلى الصورة الأدبية ومدى جمالها وما أفاده التشبيه ، بل جمال التشبيه فيها أيضاً فإنه نظر كذلك إلى سخف هذه الصورة وقبحها وقبيح التشبيه فيها ، ومثال ذلك الأبيات التي قالها أبو نواس في صفة الخمر.[٢]:ـ

هي بكر كأنَّها كُلُّ شَيْءٍ يَتمنَّى مُخَيَّرٌ أن يكُـونَـا*
أكَلَ الدَّهْرُ ما تَحَسَّمَ مِنْها وتَبَقَى لـبَابها المَكْنُونـا
فإذا مَا اجْتَلَيْتَهَـا فَهَبَاءٌ يمنع الكَفَّ ما يبيح العُيُونَا
في كِؤوسٍ كأنَّهنَّ نُجُومٌ جَارِيَاتٌ بُرُوجُهَا أيْدِينَا[٣]

فعلق المبرد على ذلك بقوله : " فهذه قطعة من التشبيه غاية على السخف "[٤] فقد سخف المبرد هذا التشبيه لا لحداثة قائله ولكن لأنه سخيف من وجهة نظره الخاصة ، عندما قال الشاعر هي بكر كأنها كل شيء أو ربما لأن الشاعر تفنن في نعت الخمر التي حرمها الدين ولكن ليس من جهة الحداثة.[٥]

أما محمد زغلول فلاحظ في كلام المبرد أنه اعتراض فقهي وذلك لاختلاف الفكر بين الرجلين فيقول : "والملاحظ ـ في كلام المبرد ـ اعتراضاً فقهياً على كلام أبي نواس ، من اختلاف الفكر بين الرجلين فهو لا يقبل قول الشاعر (كأنها كل شيء يتمنى مخير أن يكونا) ورؤية المبرد تنطلق من هذا الفكر السلفي المؤمن بثوابت لا تتغير ، والموقن بتفوق السلف وتخلف الخلف ، وإنكار كل جديد مبتدع والنظر إليه نظر الشك والريبة ."[٦]

---

[٥] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٤
* السرار : آخر ليلة في الشهر والتي يستتر فيها القمر
[٦] / بشار ، ديوانه ، ج٣ ، ص٢٤٨
[٧] / دعبل الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، تح إبراهيم الأميوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص١٤٥
[١] / جابر عصفور ، الصورة الفنية ، ص٢١٨
[٢] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٣
* ورد البيت في الديوان : من سلاف كأنها كل شيء .....
[٣] / أبو نواس ، ديوانه ، ص٣٠
[٤] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١٣
[٥] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٣
[٦] / محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي ، ص٣٧٧

على الرغم من غزارة الأسماء التي أطلقها المبرد على ألوان التشبيه والأقسام التي عددها فإنه لم يشر أية إشارة إلى التشبيه المعكوس الذي ظفر فيما بعد بنصيب وافر من الحديث وخاصة عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة) ، وربما يكون المبرد قد تركه لأن الحديث عن أقسام التشبيه كافة ــ على حد قوله ــ لا ينتهي ولذلك فهو يقول : " والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له ، وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني "[٧] وكأنه بذلك يعلل عدم ذكره لكل ألوان التشبيه وأقسامه .[٨]

فالمبرد إذن أول من قسم التشبيه إلى هذه الأقسام التي ذكرت سابقاً ثم جمعها وجعلها أربعة فقط ، وفي كل قسم من هذه الأقسام كان يتمثل بالشعر ويكثر من الاستشهاد ، وهو في ذلك لم ذكر تعريفاً بهذه الأقسام حتى تتميز عن بعضها . ولم يضع

لها الضوابط والحدود ولكن شواهده كانت دليلاً على كل قسم وتمييزاً له عن غيره .[١]

ومن ثم فإن درس المبرد للتشبيه في كامله وإيراده الأمثلة وتوضيح ما اشتملت عليه من ألوان التشبيه ، كأنه أراد أن يوضح ما للتشبيه من قيمة بلاغية فوق كونه أداة من أدوات التخاطب وصورة شعرية ... وكأنه أراد أن يقول أعلموا أن للتشبيه أغراضاً معنوية فهو يحرك في نفس المستمع ويقدح فكره، ويثري خياله فيجعله يحلق في سماوات المعاني المختلفة فيقرب بعيدها ويجلي خفيها وتأنس النفس به كثيراً.[٢]

وقد نهج المبرد في بحثه عن التشبيه منهجاً واضحاً إذ لم يقدم من التشبيه إلا ما تعارف عليه الأدباء ، والشعراء ، وما شاع في البيئة الأدبية ، وهذا يعني أن المبرد يريد أن يقيم بحثه على أركان وظيفية قد أقر أغلب الدارسين بصحتها ونسبتها إلى الفن الذي يعالجه .[٣]

قام المبرد بدرس التشبيه وشرحه لفتيانه ، دراسة وشرحاً ناضجين ، ومرد ذلك أنه قد فهمه على حقيقته بما لم يتيسر ــ إن صدق الظن ــ لمن قبله ، فلم يخض فيه أحد منهم مثلما فعل المبرد وبهذه الصورة ، ولذا فإنه كما سبق توضيح ذلك قد تناول تشبيهات القدامى والمحدثين محللاً إياها تحليلاً ينبئ عن ذوق فني ، تربى وتهذب عن طريق فهم كامل لعناصر التشبيه من ناحية ولخصائص اللغة وفنيتها من ناحية أخرى ، وقد عني أشد عناية بتشبيهات امرئ القيس من القدامى ، ولعله كان قدوة لابن المعتز في ذلك ، كما عني بتشبيهات أبي نواس من المحدثين.[٤]

والملاحظ مما تقدم :ــ

١/ إن المبرد ربط باب التشبيه بالنقد الأدبي ، من حيث تقسيمه إلى أنواعه ، وتفاوت مراتبه .

٢/عرض المبرد في أثناء حديثه عن التشبيه إلى معنى الأخذ والنظر ، وهذه المصطلحات النقدية التي شغلت البلاغيين فيما بعد وإن لم تكن واضحة المعالم .

---

[٧] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص٧٨

[٨] / عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٣٥

[١] / محمد بركات ، فصول في البلاغة ، ص١٠٠

[٢] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٤

[٣] / محمد بركات ، فصول في البلاغة ، ص١٠١

[٤] / عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي ، ص٤٥٥

٣/ كان المبرد يقظاً عند حديثه في غير باب التشبيه إذ يقول : "ثم نرجع إلى التشبيه ، وربما عرض الشيء والمقصود غيره ، فيذكر للفائدة تقع فيه ثم يعاد إلى أصل الباب ".[٥]
٤/ يعرض المبرد إلى الحديث عن التشبيه من خلال النظرة النقدية ، لهذا ربط المبرد وجه الشبه ، والمشبه به ، في الموقع والغاية والمقصد والمعنى ، وهذه هي القيم النقدية التي حرص عليها النقاد العرب ، وبهذا يكون المبرد قد التفت إلى قيمة التشبيه من الوجهة النقدية حين ربطه بالموقع والمقصد .[٦]

ومما تقدم ترى الدراسة أن المبرد استطاع أن يوصل بعض الأصول النقدية والبلاغية ، فهو قد ساق الكثير من الشواهد التي تحمل في طياتها ألواناً نقدية وبلاغية فأبان عنها خلال شرحه وتفسيره لها ، فقد عرض النصوص وحللها تحليلاً لغوياً بطريقة استطاع أن يكشف ما بها من نظرات نقدية وألوان بلاغية ، وهذا يدل بشكل واضح على المبرد الناقد البلاغي اللغوي .

لقد أفاد المبرد أيما إفادة ، علماء جاءوا من بعده فدراسته للتشبيه على هذا النحو الذي لم يسبق إليه ، أفاد منه ابن المعتز في بديعه وفي عرضه للسرقات إما بالتصريح بلفظ السرقة أو التضمين أو الأخذ ، وبحثه المسهب فتح الباب أمام أبي هلال العسكري الذي تكلم في الأخذ بتقسيماته ووسائله .

كما اهتدى به الآمدي في موازنته بين الطائيين ، وعبد القاهر الجرجاني في كلامه عن المعاني المشتركة ، والسكاكي في مفتاحه الذي ختم البلاغة بالسرقات ، وابن الأثير الذي وضع مصطلحات لضروب السرقة ، كما تأثر به ابن جني

---

[٥] / المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص١١
[٦] / محمد بركات ، فصول في البلاغة ، ص١٠٧-١٠٨

خـاتمـــــة البحث ونتائجه

مما يسعد الباحث أن يقدم في هذه الخاتمة خلاصة عن بحثه الذي موضوعه المبرد وجهوده البلاغية من خلال كتابه الكامل منطلقاً من النقاط الآتية :ـ

١/ طبيعة البحث

٢/ الهيكل العام للبحث

فيما يتعلق بالنقطة الأولى فإن هذا البحث محاولة لدراسة أحد علماء اللغة والنحو من خلال جانب آخر وهو جهوده البلاغية ، وقد استطاع البحث الكشف عن جانب آخر للمبرد وهو الجانب البلاغي وما قدمه للمتأخرين في هذا المجال .

وقد انطلق الباحث في بحثه من رؤية شمولية ومنظار موحد إلى هذين المحورين مصطنعاً فيها مزيجاً من الوصف والتحليل متجنباً بذلك السقوط في المنهج الآحادي البعدي .

أما هيكل البحث العام فيتكون من ثلاثة فصول تحتوي جميعها على ثلاثة مباحث احتوى الفصل الأول منها عصر المبرد وحياته وقد استطاع الباحث في هذا الفصل أن يكشف جملة من الأخبار عن سيرة هذا العالم ، فتناول في المبحث الأول الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، وتناول المبحث الثاني مولد وحياة ونشأة المبرد ، وتناول المبحث الثالث ثقافة المبرد وآثاره وكان الهدف المتوخى من الفصل هو تقديم صورة عن البيئة العامة التي أفرزت هذا العالم ومدى تأثيرها فيه.

أما الفصل الثاني فقد عقد للحديث عن كتاب الكامل والبلاغة ما قبل المبرد ، فتناول المبحث الأول مادة كتاب الكامل ومنهجه ، وتناول المبحث الثاني أثر كتاب الكامل في المتأخرين ، وتناول المبحث الثالث البلاغة ما قبل المبرد ، وكان الهدف من هذا الفصل هو تقديم صورة مبسطة عن كتاب الكامل والمنهج الذي سار عليه مؤلفه فيه ، وتأثيره في المتأخرين من قراء وشارحين وتأليف على نهجه ، وكذلك تقديم صورة عن البلاغة نشأة وتطوراً حتى عصر المبرد .

أما الفصل الثالث فقد تناول فيه الباحث جهود المبرد البلاغية ، فتناول في المبحث الأول جهود المبرد في علم البيان ، والبديع ، والمعاني ، وتناول في المبحث الثاني أبرز أقسام التشبيه عند المبرد ، وتناول في المبحث الثالث أقسام أخرى للتشبيه عند المبرد ، وكان الهدف من هذا البحث تقديم صورة لجهود المبرد البلاغية ، وأبرز جهوده في هذا

المجال وهو حديثه وتقسيمه للتشبيه ، وكذلك تأثير المبرد في المتأخرين من علماء البلاغة .

وقد توصل هذا البحث إلى بعض النتائج يمكن تلخيصها في الآتي :

١/ إن المسلمين لم يكونوا مترجمين فقط وإنما كانوا مبتكرين ومبدعين في هذه المواد التي نقلوها من اللغات الأجنبية، فقد فسروها وأضافوا إليها شروحاً وتعليقات ذات قيمة عظيمة وبذلك فقد انقذوا هذه العلوم من فناء محقق .

٢/ يغلب على ثقافة المبرد الطابع اللغوي بالدرجة الأولى والطابع الأدبي بالدرجة الثانية ، ويظهر ذلك من خلال مؤلفاته .

٣/ كتاب الكامل في اللغة والأدب ليس سوى مجموعة من الدروس ألقيت على التلاميذ، ألقاها المبرد في حلقات الدرس التي كان يعقدها لفتيانه.

٤/ لم يثقف المبرد إلا الثقافة العربية إذ لم يعرض في كتابه الكامل لغيرهم إلا قليلاً نادراً.

٥/ منهج المبرد لم يكن يسير على وتيرة واحدة أو خط مرسوم بل كان يوسع في المادة ما استطاع فتأتي كأنها درس منوّع يأخذ من كلٍ بطرف...

٦/ لقي كتاب (الكامل في اللغة والادب) تقديراً كبيراً من العلماء . وقد بالغ العلماء في الإقبال عليه والعناية به رواية ،وقراءة،ودراسة،وشرحاً، ونقداً، وتعليقاً، وتهذيباً، واحتذاه بعضهم في تأليفهم.

٧/ لم يقصد المبرد في تأليفه (الكامل في اللغة والأدب) أن يتحدث عن أصول البلاغة العربية ومع ذلك فقد قدم للدرس البلاغي منهجاً قويماً .

٨/ أضاف المبرد فصل جديد في علم المعاني وهو أضرب الخبر.

٩/ قسم المبرد الكناية إلى ثلاثة أقسام وهذا التقسيم لم يعرف عند أحد من السابقين.

١٠/ لم يذكر المبرد من أنواع الكناية التي يديرها المتأخرون في كتبهم إلا النوع الثاني ، والذي اعتبروه أحسن أنواع الكناية .

١١/ أشارت أمثلته إلى نوعين من أنواع الكناية الثلاث عند المتأخرين :الكناية عن ذات ، الكناية عن صفة .

١٢/ سمى المبرد الاستعارة مثلاً وهذا متابعة منه للجاحظ ، كما جعل الاتساع في الفصاحة لا في المعنى ، أي أنه كان يعتبر الاستعارة من فصاحة اللفظ .

١٣/ تناول المبرد المجاز على الطريقة التي تعني التأويل والتفسير فيما تعنيه .

١٤/ حفى المبرد بالإيجاز ، وهو يجعله إحدى الفضائل الكبرى في الكلام .

١٥/ يعتبر المبرد أول من تحدث عن اللف والنشر إذ لم يتحدث عنه أحد من قبله حتى نهاية القرن الثالث الهجري .

١٦/ يعد المبرد إمام البلاغيين في علاج التشبيه ، إذ أفرد له باباً مستقلاً بخلاف السابقين

١٧/ تنبه المبرد إلى اكتشاف غاية في الأهمية يتمثل في أن التشبيه هو في الحقيقة جسم مركب من وحدات تتكتل مع بعضها لتكون المعنى الكلي الذي يبرز من اللفظة .

١٨/ أورد المبرد أمثلة من غير شرح اعتماداً على ثقافة القارئ واحتراماً لذكائه.... تاركاً فرصة للقارئ كي يشركه في الدرس والمتعة وإصدار الحكم وتقييم الذوق .

١٩/ يعتبر المبرد أول من قسم التشبيه إلى الأقسام التي ذكرت سابقاً ثم جمعها وجعلها أربعة فقط .

٢٠/ لم يذكر المبرد تعريفاً بهذه الأقسام حتى تتميز عن بعضها . ولم يضع لها الضوابط والحدود ولكن شواهده كانت دليلاً على كل قسم وتمييزاً له عن غيره .
٢١/ أورد المبرد من أنواع التشبيه وتفاوت مراتبه ما يرتبط بالتقسيم من حيث المعنى ، لا من حيث الأطراف من مشبه ومشبه به ، أو من جهة الأدوات .
٢٢/ أقام المبرد بحثه على أركان وظيفية إذ لم يقدم من التشبيه إلا ما تعارف عليه الأدباء ، والشعراء ، وما شاع في البيئة الأدبية .
٢٣/ ربط المبرد باب التشبيه بالنقد الأدبي ، من حيث تقسيمه إلى أنواعه ، وتفاوت مراتبه .

التوصيات :

١/ يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بكتاب الكامل والبحث والتنقيب فيه باعتباره من أهم كتب اللغة العربية لما يحتويه من مادة ثرة .
٢/ زيادة البحث والتنقيب في الجوانب البلاغية للمبرد ، وخاصة التشبيهات ومقارنتها مع التشبيهات عند المتأخرين .
٣/ إلى مزيد من البحث والدراسة .

ختاماً لست أزعم أنني استطعت ـ بعملي هذا ـ أن أقدم الصورة الوافية والنهائية عن جهود المبرد البلاغية ، فباب البحث في جهوده مفتوح لكل باحث ، وأملي أن أكون قد أعطيت الرجل بعضاً من حقوقه .

المصادر والمراجع

١/ القرآن الكريم .
٢/ أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (سيبويه) ، الكتاب ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٣/ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار الكتب ، بيروت ، دون ط ، دون تر .
٤/ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، دون تر.
٥/أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
٦/أبو حرزة جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي ، ديوان جرير ، تح كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، دون ط ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٧/ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، معاني القرآن ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٨/ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض ، تحقيق إبراهيم محمد البنا ، دار الاعتصام ، دون م ن ، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٩/ أبو سعيد الخير،القرط على الكامل، To PDF : htt :// www.al-mostafa.com
١٠/ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان-تحقيق د/إحسان عباس ،دار صادر ، بيروت ، دون ط ،دون تر.
١١/ أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد)، البلاغة ، تح محمد رمضان عبد التواب ، دون ن، دون م ن ، ط٢ ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م .
١٢/ أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد)، الكامل في اللغة والأدب ، دار الفكر ، بيروت ، دون ط ، دون تر .
١٣/ أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد)، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دون ن، القاهرة، دون ط، ١٣٩٩هـ .
١٤/ أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء علي الشعراء، جمعية نشر الكتاب العربية ، القاهرة ، دون ط ، ١٣٤٣هـ .
١٥/ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، معجم الأدباء، دار الكتب، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .
١٦/ أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٥م .

١٧/ أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) ، الحيوان ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة البابلي ، مصر ، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م .
١٨/ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، لبنان ،ط٥ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
١٩/ أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تح محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، ط٢ ، دون تر .
٢٠/ أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب ، تح محمد هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٥م .
٢١/ أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، الأغاني ، تح إحسان عباس وآخرون ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .
٢٢/ أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، شرح السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .
٢٣/ أبو منصور محمد بن احمد بن الزهري الأزهري ، تهذيب اللغة ، تح أحمد عبد الرحمن مخيمر دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١، ٢٠٠٤م .
٢٤/ أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري ، الصناعتين ، تح محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٤م .
٢٥/ أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب الحديث ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م .
٢٦/ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، شرح ديوان الشماخ ، مطبعة السعادة ، مصر ، دون ط ، ١٣٢٧هـ .
٢٧/ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ .
٢٨/ أحمد السيد الصاوي ، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، دون ط ، دون تر .
٢٩/ أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ط ١١، ١٩٩٦م .
٣٠/ إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية)، ديوان أبو العتاهية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت، دون ط ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٣١/ امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
٣٢/ إيليا الحاوي ، شرح ديوان أبو تمام ، دار الكتب ، بيروت ، دون ط ، دون تر .
٣٣/ بدوي طبانة ، البيان العربي ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ط٣ ، دون تر
٣٤/ بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى القرن الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٦ ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
٣٥/ جابر أحمد عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، دون تر .
٣٦/ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، أنباه الرواة على أنبه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٣٧/ جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
٣٨/ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م
٣٩/ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، دار الجيل ، بيروت ، دون ط ، دون تر .
٤٠/ حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي ، دون ط ، دون تر .
٤١/ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام الديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل ، لبنان ، ط٥ ، ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م .
٤٢/ الحسن بن هاني (أبو نواس) ، ديوان أبي نواس ، تح أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون ط ، دون تر .
٤٣/ حفني محمد شريف ، البلاغة العربية نشأتها وتطورها ، مكتبة الشبان ، القاهرة ، دون ط ، ١٩٧٢م .
٤٤/ حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس) ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، ط١ ، ١٩٨١م .
٤٥/ حمدو طماس ، شرح ديوان الخنساء ، دار المعرفة ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
٤٦/ حنا نصر الحتي، شرح ديوان النابعة ، دار الكتاب العربي ، لبيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م
٤٧/ دعبل بن علي الخزاعي ، ديوان دعبل الخزاعي ، تح إبراهيم الأميوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م
٤٨/ السباعي بيومي ، تهذيب الكامل في اللغة والأدب ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٣م .
٤٩/ سيد علي المرصفي ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ، مطبعة النهضة ، مصر ، ط١ ، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م .
٥٠/ الشعراء الهزليين ، ديوان الهزليين ، تح القسم الأدبي في دار الكتب ، دار الكتب ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٥م .
٥١/ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ، طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٥٢/ شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٢ ، دون تر .
٥٣/ شوقي ضيف ،تاريخ الدب- العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، د تر.
٥٤/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، دون تر .
٥٥/ الطاهر أحمد مكي ، دراسات في مصادر الأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، دون ط ، دون تر.
٥٦/ طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، دون تر .

٥٧/ عاتكة الخزرجي ، شرح ديوان العباس بن الأحنف ،مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، دون ط ، ١٣٧٣هـ ـ١٩٥٤ .
٥٨/ عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، البيان ، البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دون ط ، دون تر .
٥٩/ عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٩م .
٦٠/ عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ،ط٢ ، دون تر .
٦١/ عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب ، القاهرة ، دون ط ، ٢٠٠١م.
٦٢/ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، صححه محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .
٦٣/ عبد الواحد حسن ، قضايا النقد الأدبي والبلاغة عند اللغويين في القرن الثالث الهجري ، الهيئة المصرية العامة ، الإسكندرية ، ط١ ، ١٩٨٠م .
٦٤/ عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٠م .
٦٥/ علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة (ومعه المنقوص والممدود للفراء) ، تح عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٦٦م .
٦٦/ علي فاعور ، شرح ديوان الفرزدق ، ،دار الكتب ، بيروت ، ط١ ،١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
٦٧/ علي محمد العماري ، قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٩٩م .
٦٨/ عمير بن شُييم بن عمر بن عباد (القطامي)، ديوان القطامي ، تح إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ،١٩٦٠م .
٦٩/ عنترة بن شداد ، ديوان عنترة ، مطبعة الآداب ، بيروت ، دون ط ، ١٨٩٣م .
٧٠/ غيلان بن عقبة (ذوالرمة) ، ديوان ذي الرمة ، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
٧١/ قيس بن الملوح ، ديوان مجنون ليلى ، دراسة وتعليق يسرى عبد الغني ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
٧٢/ مازن مبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر، دمشق ، دون ط ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
٧٣/ محمد بركات حمدي أبو علي ، فصول في البلاغة ، دار الفكر ،عمان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٧٤/ محمد بن إسحق (ابن النديم) ، الفهرست ، تح شعبان خليفة وآخرون ، دار غريب ، القاهرة ، دون ط ، ١٩٩١م .
٧٥/ محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى أواخر القرن الرابع الهجري ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ط٣ ، دون تر .

٧٦/ محمد الطاهر عاشور ، شرح ديوان بشار بن برد ، سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، دون ط ، ٢٠٠٧م .
٧٧/ مروان بن محمد أبي الشمقمق ، ديوان الشمقمق ، تح واضح محمد الصمد ، دار الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
٧٨/ مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٢م .
٧٩/ الهيثم بن الربيع (أبو حية النميري) ، ديوان أبي حية النميري ، تح يحيى الجبوري ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، دون ط ، ١٩٧٥م .
٨٠/ مهدي محمد ناصف الدين ، شرح ديوان الأخطل ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
٨١/ يوسف خليف ، في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، دارا لثقافة ، القاهرة،دون ط،١٩٨١م .